ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1048 - الجمعة 2 ذو القعدة 1424 هـ - الموافق 26 دجنبر 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

تدريس القرآن الكريم

منتهكوا محارم الله من أعلام التصوف المغربي

الموضوعة الدينية في الخطاب المغربي روح خطبة الجمعة

الإسلام دين السماحة

لقد بعث الله نبينا محمدا (ص) رحمة للعالمين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) جاء برسالة تنشر السلم وتدعو للسلام (إنما أنا رحمة مهداة) وفي الحديث إنه عليه الصلاة والسلام قال: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ديننا) فما حجة من يتهم الإسلام بالضغط على الغير والظلم له وإكراه من سواه على ما لا يرضاه؟ فالقرآن يفند أصحاب هذا الإفتراء على الإسلام قال الله في كتابه العزيز (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) هكذا يبين كتاب الله التوجيه الدعوي ويظهر القرآن الكريم رحمة هذا الدين وإنسانيته ونبينا محمد (ص) أرسله الله مبشرا ورحمة وسراجا منيرا يهدي للطريق المستقيم (ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا...)

فجاء الإسلام لإصلاح الإنسانية وجمع كلمتها وتوحيد مجتمعاتها فالإيمان له رابطة أقوى من رابطة النسب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض).

فالإسلام يدعو لجمع الشمل وينادي بتعميم الرحمة في قلوب البشرية ويدعوا لإحترام الأديان وحريتها وعدم مناقشة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن).

ولقد نبه كتاب الله إلى أن المجادلة مع أهل الكتاب تكون بأحسن عبارة وأرق لفظ وأطيب أسلوب لأن التربية الإسلامية مبنية على الآداب الصالحة والأخلاق الفاضلة قال عليه الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وأحسن دعوة للدين الإسلامي يقوم بها الموجه هي تهذيب سلوكه ومعاملته للبشرية بالتي هي أحسن حتى يجلب من دعاه بحسن خلقه ولين عريكته ورقة إنسانيته يقول كتاب فقه السنة (من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب يقول الرسول (ص) (اتركوهم ومايدينون) بل من حق زوجة المسلم اليهودية أو النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولا حق لزوجها في منعها من ذلك.

إن هدي الرسول (ص) يدعونا لمحبة الإنسانية والصبر عليها وعدم إيذائها كما يحثنا على مخالطة الناس بالخلق الحسن ويوصينا بضبط النفس والإبتعاد عن الغضب على الآخرين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلا قال للنبي (ص) أوصني. قال لاتغضب فردد مرارا قال لاتغضب) رواه البخاري.

إن ما أسلفنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيه برهان ساطع على إنسانية هذا الدين وما أتينا به في هذا الموضوع الخصب هو قليل من كثير لكن في الآيات المذكورة والأحاديث النبوية الشهيرة مايعطي الدليل القاطع على سماحة الإسلام ولطفه ورحمته بعباد الله وإن كان ذلك لايحتاج إلى دليل.

إنما نرجو من أصحاب الأقلام النزيهة والضمائر النقية أن يشرفوا أقلامهم بتبصير الذين يحاولون تدنيس نقاء هذا الدين ورحمته كي يرجعوا إلى الحق من زاغ عنه مشكورين ويساهموا في نقد من أعمته الدعايات الكاذبة عن حقيقة ديننا الإسلامي الرحماني.

ومما يثير العجب ويبعث على الاستغراب أن ينسب أعداء الفضيلة والقيم إلى الإسلام ما هو براء منه فعلينا ألا نترك الكائن البشري يتيه في غفلة عن الحقيقة ولانقبل من أي كان أن يدلس على الإنسان البريء حتى لا يبقى رهين تشويه مبيت ضد المعتقد يصف الدين بالظلامية والمتمسكين به بالظلاميين.

فلنتق الله في الإنسانية وعلاقتها البشرية ونشر فيها من جديد مايقوي عنصر الحب والسلام فيما بينها ونبعد عنها كل فكر يبعث كراهية أو يحدث تشنجا في شرائحها الإنسانية أو يكون تصدعا في المجتمع أو إرهابا فكريا أو ماديا يضر بمصالح الشعوب والأفراد فلو علم الكل التوجهات الإسلامية السموحة لعم البشرية الرغبة الجامحة في الإيمان بما جاء به نبي الرحمة وشفيع الأمة سيدنا ومولانا محمد (ص) فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كأني أنظر إلى رسول الله (ص) يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون) متفق عليه.

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني
متابعة العدل في الأسرة

في هذا العدد نحاول متابعة التزامات الزوج داخل الأسرة لنرى الخطوط الخضراء والحمراء التي يجب الوقوف عندها وهي حدود لخريطة العدل الأسري.

وقد رأينا صورة من تجاوز الزوج لحدود العدل في الأسرة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحثنا عن الزوجة التي جاءت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها وترفع إليه أمرها بعد أن عمد الزوج إلى تجاوز الخطوط الحمراء في الحياة الأسرية. ونزل الوحي من عند الله تعالى ليضع الحدود التي يجب أن يقف عندها الزوج في خصومات محددة وسمعنا الله عز وجل يقول في بداية السورة "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير" إلى آخر الآيات المرتبطة بالموضوع من بداية السورة الثامنة والخمسين.

لقد أنصف القرآن المرأة السيدة الصالحة خولة بنت ثعلبة وقضى لها وحكم لصالحها على زوجها السيد أوس بن الصامت. وستبقى قضيتها صورة مشرقة لتنظيم وترتيب أحكام العدل في الأسرة منذ أن نزلت السورة القرآنية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. دون أن يتقادم ملفها أو يدخل إلى بيت المحفوظات. فالآيات القرآنية تتلى في الصباح والمساء في المساجد والزوايا والبيوت الصالحة. وصوت السيدة خولة في مجادلتها ودفاعها عن حقها في العدل الأسري سيبقى بحروفه وحركاته وسكناته يدخل للقلوب وللعقول مارا بالآذان والأبصار ليبقى العدل قائما مادامت السموات والأرض وكل في فلك يسبحون.

ونبقى جالسين في بيت الأسرة مع الزوج والزوجات عند التعدد لنرى منطقة العدل التي يجب التحرك فيها ومايجوز وما لايجوز المس به في أمرها.

المنطلق في إباحة التعدد: الآية القرآنية. في قول الله تعالى في سورة النساء "وإن خفتم ألاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم. ألا تعدلوا فواحدة" ويقول في الآية ٩٢١من نفس السورة "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم. فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة" وفي الآية السابقة لهذه يقول الله تعالى: "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا. والصلح خير".

إن التعدد والعدل فيه يجب أن ننطلق فيهما من حقائق ثابتة لاتقبل الجدل. ثابتة بنصوص في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أولا: إن التعدد مباح بنص القرآن الكريم "فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" قال ابن عباس وجمهور العلماء أن المقام مقام امتنان وإباحة. أي إباحة الجمع بين أربع نسوة.

وقال الشافعي كما في التفسير: دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لايجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة. وهو مجمع عليه بين العلماء. إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة الذين أجازوا الجمع بين تسع نسوة اقتداء بعمل الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام أحمد عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة أسلم وتحته تسع نسوة أسلمن معه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اختر منهن أربعا. أخرجه النسائي في سننه. وهذا دليل على تطبيق الآية في الحال والمستقبل.

وقال الشافعي في مسنده عن نوفل بن معاوية الديلمي قال: أسلمت وعندي خمس نسوة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر أربعا. أيتهن شئت وفارق الأخرى.

فهذه نصوص من الكتاب والسنة تؤسس لإباحة التعدد. ومن قال خلاف ذلك فالله ولي أمره.

ثانيا: إن العدل بين الزوجات عدلان: عدل مادي ظاهري. وعدل قلبي وفؤادي. فالعدل المادي هو العدل في المبيت بالتساوي والعدل في النفقة بدون تمييز. والعدل في السكن واللباس والسفر وغير ذلك مما هو ظاهر يمكن ملاحظته وملاحقته. فهذا هو العدل الواجب بين النساء. وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم روى الإمام أحمد وأهل السنن عن عبد الله ابن يزيد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل.

أما العدل الآخر القلبي والفؤادي والضحك مع إحدى النساء أكثر من الأخرى. والتصرف في أمور مع واحدة دون غيرها لخصوصية لايعرفها إلا الزوجان فهذه أمور تخص سرية البيت. ولايلام الزوج عليها إذا نفذها مع إحدى الزوجات دون غيرها لأنها لاتدخل في نطاق العدل الواجب. لأن العدل المطلق مخصوص بالله عز وجل. ونجد في تمام حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها التعليل العقلي لذلك فهي تقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك. فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

ولعل هذا التمييز بين العدل العام والعدل الخاص في التعامل مع الزوجات عند التعدد يبين الحدود التي يجوز الحديث فيها عند طرح موضوع العدل بين الزوجات. والآية القرآنية التي تنص على عدم الاستطاعة في العدل بين النساء فهي تخص العدل الخاص. والآية هي قول الله تعالى: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم". ولايمكن أن نفهم منها أن العدل غير مستطاع وبالتالي يمنع ماترتب عن فقدانه وهو التعدد. فهذا مخالف لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة الأمة والعلماء..

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعية

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية. المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يتحدث عن لقائه بالشيخ ابن دقيق العيد

■ يتضح من دراسة رحلة التجيبي أنه لم يكن يلتزم بالتسجيل اليومي لرحلته، يوما بيوم، بل كان يجمع المعلومات ثم يرتبها، فهو في زيارته للقاهرة المعزية بدأ بذكر تاريخها ووصف معالمها، ومشاهدها، ومساجدها ومدارسها...وبعد عشرين صفحة يذكر أنه أول مادخل إلى القاهرة قصد منزل الشيخ ابن دقيق العيد، وعن ذلك يقول: "كان من إنعام الله تبارك وتعالى لقاء هذا الإمام الفاضل نفع الله تعالى برؤيته، وروايته، وأول ساعة لقيته كانت في ليلة السبت السادس لجمادى الأولى من سنة :696هـ وهذه الليلة كانت أول ليلة بت فيها بمدينة القاهرة حرسها الله تعالى، وهذا الإمام الفاضل هو أول شيخ لقيته بها...."

رحالتنا الألمعي كان على درجة عالية من حب المعرفة يبحث عنها، وعن رجالها، فالرجل بمجرد وصوله إلى القاهرة لم يعط لنفسه وقتا للاستراحة من عناء السفر، ومشاق الطريق وركوب المطايا... بل نراه يبدأ بالبحث عن أبرز شيوخها في وقته وهو الشيخ الجليل ابن دقيق العيد، يذهب إليه في منزله، ويستأذن في الدخول عليه، وعن ذلك يقول: "استأذنت عليه في داره التي كان يسكن بها، وهي قاعة دار الحديث الكاملية، استأذنت عليه ليلا، بعد علمي بقعوده . للتدريس . في ذلك الوقت مع طائفة من طلاب العلم، كثرهم الله تعالى، فأذن لي وتلقاني، رضي الله عنه أحسن لقاء، ورحب بي وبالغ في تانيسي، وسألني عن جهة قصدي، فأخبرته أن معظم أملي الوصول إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم، فدعا لي بخير وقاله، ثم أثنى على أهل المغرب جملة، وقال لي أنا أحب المغاربة، واعتني بهم، وأسميهم عشاق مكة، ثم استفهمني عمن لقيت في طريقي هذا . من سبتة إلى القاهرة . من أهل العلم، وعمن خلفت في بلاد المغرب من المشايخ الفضلاء، فأخبرته بما كان عندي من ذلك، وسأل أيضا عن طائفة متقدمي فضلاء الأندلسيين . فأعلمته أيضا بما وقع إلي من ذلك".

لقد كان علماء المسلمين بالمشرق يسألون عن أحوال بلاد المغرب، وعن بلاد الأندلس بصفة خاصة، لأن قبل هذه الفترة بقليل . التي كان فيها التجيبي بالمشرق كان الاضطراب السياسي على أشده بالمغرب، بين طلائع الدولة المرينية وخلود الموحدين" وكانت الحرب على أشدها بين الجانبين، وشعر النصارى بالأندلس أن الفرصة مواتية لاقتحام الحصون والمدن الإسلامية بالأندلس، وأن الموحدين الذين كانوا يصدون الهجمات النصرانية مشغولون بمحاربة بني مرين، ومع ذلك استطاع بعض أقارب بني عبد الحق المريني العبور إلى الأندلس لاستئناف حركة الجهاد بها، وعن هذا يقول ابن خلدون: "واحتل هؤلاء القرابة من بين عبد الحق بأرض الأندلس على حين أقفر من الحامية جوها، واستأسد العدو على ثغورها، وتحلبت شفاهه لالتهامها، فتبوأوها أسودا ضارية، وسيوفا ماضية" وبالفعل كما يقول ابن خلدون استطاع بنو مرين، وفي هذه الفترة بالذات التي كان صاحبنا بالمشرق . الوقوف في وجه الأطماع النصرانية، وكان هذا مما يدخل السرور على إخواننا المسلمين بكل مكان.

لقد أجاب التجيبي ابن دقيق العيد بما يعرفه عن أحوال المغرب

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

والأندلس، ولاشك أن الشيخ تفرس في هذا الشاب المغربي المطلع الشغوف بالمعرفة تفرس فيه أنه أهل للقيام بمساعدته في نسخ كتبه، والاستفادة منها والتعليق عليها...

يقول التجيبي :"وقال لي . الشيخ ابن دقيق العيد .: أريد منك أن تقعد هاهنا معنا هذه السنة حتى أمكنك من مبيضاتي لتستخرج منها ما تم من مصنفاتي، وقد اخترتك لهذا النوع، أو كما قال، فاعتذرت له بقوة عزمي، وشدة شوقي لبيت الله الحرام، فقبل العذر ودعا بخير.."

ويغلب على الظن أن جل الذين كانوا يفدون على مصر لطلب العلم، أو في طريقهم إلى الحج كانوا من المتمكنين من العلوم الدينية، واللغوية، ولهم إلمام واسع بالفقه والحديث وعلومه، ابتداء من ابن العربي المعافري إلى أبي سالم العياشي وشيوخ الزاوية الناصرية واليوسي، وغيرهم... كانوا يلفتون الأنظار إليهم بجودة اطلاعهم، وموسوعية معرفتهم، وبخاصة في اللغة والأدب والفقه والحديث والأصول... وبذلك كانوا محط تقدير، وبعضهم كان يلقي دروسا في هذه العلوم، تشد إليه الانتباه، ويتحلق حوله العلماء والطلبة وغيرهم.. ويعجبون من كثرة محفوظاتهم، وحسن بيانهم... ورحالتنا القاسم بن يوسف التجيبي السبتي كان واحدا من هؤلاء، ولذا أعجب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الذي يقول التجيبي في وصفه: "إمام الأئمة، نخبة الفضلاء علما وحلما، مظهر معاني العلوم استنباطا وفهما، والمحتوي على عمدة أصولها، وفروعها حفظا وحكما، ابو الفتح محمد... القشيري النسب المنفلوطي الأصل الينبعي المولد، القوصي المربي، القاهري المنزل، المنعوت بتقي الدين، المعروف بابن دقيق العيد، أحد ألمة المسلمين المجتمع على إمامته وتقدمه في المعارف كلها، بلغ درجة الاجتهاد أو كاد، حاز السبق في معرفة الفقه والأسانيد والمتون، وأفتى في المذهبين المالكي والشافعي وأقرأ الحديث بالكاملية، وتولى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، فحمدت سيرته، وشكرت طريقته، وحصل الحظ الوافر من المعقولات والأدبيات، وغير ذلك، وقد اتفقت الألسنة على الثناء عليه، والمدح له، والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عليه آثارا حسانا.." ويستمر التجيبي في وصف أحوال الشيخ، ويصفه بالهيبة ووقار الشيبة، وحسن الهدي والسمت، والإقبال على الكتب والتصنيف، إلى أن يقول: "وله جملة تصانيف وفوائد، وهذه جملة مابلغني من تصانيفه وأماليه، وماتم، وما لم يتم، مما كان في العمل زمن لقائي له، فمنها: كتاب الإمام في معرفة أحاديث الأحكام، والمختصر المسمى: بالإلمام في معرفة احاديث الأحكام، وشرح هذا المختصر مطولا ولم يتم، ويقدر تمامه بعشرين مجلدا.

وكتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح، وما أضيف إليه من الأحاديث المعدودة في الصحاح، وكتاب التشديد في الرد على غلاة التقليد، وكتاب: طبقات الحفاظ، وذكر لي أنه في مجلدين، وكتاب إحكام الأحكام في شرح كتاب العمدة، الذي ألفه الحافظ عبد الغني في الأحكام، وهو أيضا مجلدان، وشرح كتاب عثمان ابي عمر وابن الحاجب المالكي، ولم يتم أيضا، ويقدر تمامه بعشرين مجلدا أيضا، وديوان خطب جمعية وغيرها، والأمالي التي أملاها بدار الحديث السابقية بقوص، وأربعينيات، نفعه الله ونفع به، وأجزل له المثوبة ورضي عنه وعن سائر العلماء والمسلمين أمين".

وبعد ما ذكر التجيبي مؤلفات الشيخ ابن دقيق العيد أو ما اطلع عليه منها، قال بعد ذلك:

"ذكر ماتيسر أخذه عن هذا الإمام أمتع الله به الإسلام" فمن ذلك كتاب: الاقتراح في بيان الاصطلاح، وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة في الصحاح، من تأليفه، سمعته من لفظه، ومن فلق فيه، وأنا أمسك أصل كتابي منه، وصح لنا ذلك، وثبت في مجلسين . أحدهما متصل القراءة، والثاني فصل بين أوله وآخره وضوء الشيخ وصلاة العصر، وكان هذا الثاني في يوم الثاني عشر لجمادى الأولى من سنة ست المذكورة، ومن ذلك أربعون حديثا تساعية الإسناد، من تخريجاته من مسموعاته، سمعتها عليه بدار الحديث الكاملية من القاهرة المعزية، بقراءة صاحبنا الفاضل نور الدين أبي الحسن المكي الهاشمي المعروف باليمني، وسمعت من لفظ الشيخ تفقها في الدرس، وأجازنا ماحدثنا من مسموعاته، وجميع مجازاته وسائر مصنفاته، وماقاله نظما ونثرا، وكتب لنا ذلك بخط يده المباركة"

. يتبع.

(تتمة ص:1)

بل إن القرآن يجيز أكثر من ذلك، يجيز للمرأة التي ترى أنها لاتستطيع أن تعطي ماتعطيه غيرها أن تصارح زوجها وأن تصالحه على وضع معين متفق عليه حتى لا تبقى مهمشة أو معلقة لا هي مطلقة ولا هي زوجة كاملة، وفي هذا يقول الله تعالى في الآية 128 من نفس السورة: "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير"فالخوف من نشوز الزوج أوالإعراض والإقبال على الأخرى، قد يدفع إلى المصالحة الزوجية واستمرار العلاقة وعدم اللجوء إلى الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله.

وقد حدث هذا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه، فعن سعيد بن المسيب أن رافع بن خديج الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كبرت زوجته الأولى تزوج عليها فتاة شابة، ورأت منه الأولى هذا الميل، فخيرها بين الفراق النهائي والبقاء مع نوع من الأثرة، فقبلت الاقتراح الأخير، ورضيت به واعتبرته الصلح الذي تشير إليه الآية.

وفي بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم درس آخر في الموضوع والتطبيق العملي لأحكام القرآن في العدل والعدالة الأسرية، فهذه أم المومنين والمومنات سودة بنت زمعة العامرية المهاجرة أرملة المهاجر السكران بن عمرو الصحابي الجليل من أوائل المسلمين هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى للمسلمين، ولما عاد إلى مكة مات عنها وقاست الزوجة مرارة الترمل بعد محنة الهجرة، وصادف ذلك وفاة أم المومنين خديجة رضي الله عنها وتركت في البيت الأطفال وحدهم، فجاءت خولة بنت حكيم السلمية بعد انتهاء مدة العدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت معه ملف الزواج وعرضت عليه عائشة بنت أحب الناس إليه أبي بكر الصديق، لكنها صغيرة ياخولة، وعرضت عليه معها أخرى كبيرة سودة بنت زمعة، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطبتهما معا، وبنى بسودة بمكة وبعائشة بالمدينة بعد الهجرة، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء أخريات حفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، ولاحظت سودة استئثار الزوجات الصغيرات برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمس منها النبي عليه السلام الموقف المحرج، وفي إحدى لياليها أخبرها بعزمه على تسريحها بالطلاق وبعد فترة صمت ردت قائلة: أمسكني، ووالله مابي على الأزواج من حرص ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجة لك، وأدركت أنها في موقف صعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر القرار منها، فقالت: أبقني يارسول الله، وأهب ليلتي لعائشة، وإني لا أريد مايريد النساء، فتأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم للموقف وانجابت ظلمة الليل، وفي ذلك نزلت الآية "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا" وبقيت سودة في الحياة حتى توفيت في خلافة عمر بن الخطاب.

الموقف النبوي يعطينا صورة أخرى من صور العدل الأسري عندما يتم الاتفاق بين الزوج والزوجة على حل يرضي الطرفين وتستمر حياة الزوجات في بيت واحد دون طلاق أو فراق وفي ذلك تحقيق معاني العدل الكامل القريبة والبعيدة.

وفي العدد القادم إن شاء الله نرى كيف عالجت مدونة الأحوال الشخصية ملف العدل بين الزوجات والاقتراحات التي جاءت في مشروع مدونة الأسرة الجديدة. والسلام

الأستاذ: أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام . رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تصويب

وقع في العدد الماضي قلب للأرقام الخاصة بمدونة 1957 حيث كتبت 1975 فوجب التنبيه والاعتذار

الوثاق

دلالة كلام الله تعالى على الواجب والمستحيل والجائز أزلا

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

السادات الأبية المستجد بمفاتيح آرائهم في ليالي الشكوك المدلهمة.
جوابكم عن دلالة كلام الله تعالى على الواجب والمستحيل والجائز أزلا، إن كانت فعلا فما معناها؟ لأنها إن فسرت بالفهم فمن الفاهم إن كان غير الله، فلا غير إذ ذاك؟ وإن كان الموصوف به تبارك وتعالى استحال ذلك للإيهام، وإن فسرت بالعلم، لزم اتحاد الكلام به، وإن كات على معنى الصلاحية لزم نفي الكلام أزلا، لأن الصالح لأن يتكلم غير متكلم ولا يرد أن القادر على أن يفعل غير قادر للعرف الظاهر.
وايضا دلالة القرآن على المعنى الأزلي القائم بالذات العلية ما هي من أنواع الدلالات الثلاث؟ ولأنا لا نفهم المدلول من مفرداته ولا من جمله ولا من المجموع فوضعها له، ولا أنه جزءها ولا لازمها على ما في الأخير، واعتبارا انه مدلول شرعا حقيقة إطلاقا للدال على المدلول مجازا في الأصل غير مجد للجواب، لأن البحث في أصل الدلالة، ولا يقال أن الدلالة عقلية لوجوب تلازم اللفظ والمعنى المدلول به عليه قياسا للغائب على الشاهد لما علم في ذلك القياس وضعف اعتباره، ولما نشاهد من كلام النائم والسكران وذي الهذيان، وإنه لاسبقية له في الأذهان ولا شعور به بالكلية، ومما يحتمل أن يقال أن القرآن مساو للمعنى القائم بالذات فيما دل كل واحد منها عليه، وانه مفسر به، أو أن الكلام ملازم لما دل عليه به، لأن المقال لنبيه غير معنى قائم بنفس القائل.
وفي الكل مجال للبحث جوابا شافيا مع إطالة النفس وبسط الكلام والسلام.

لجماعة من العلماء

وأجاب العلامة أحمد بن محمد العربي بن الحاج:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

لاشك أنه قد جعل الأقدموني والأثير الدلالة فهم أمر من أمر بحيث يصح أن يفهم منه أمر سواء فهم أم لا، وبحث في تفسيرها بالفهم بما هو، وجوابه مشهور في أول علم المنطق، وبعد ذلك فإن الثاني هو مذهب المحققين، وقد قال السيد لما ذكر الدور الوارد على كون الدلالة الوضعية متوقفة على سبق العلم بالوضع ما نصه.

فإن قلت لما وجب أن يكون سورة المعنى مرتسمة في النفس محفوظة لها، لم يتصور فهم العنى من اللفظ لا عند تخيله ولا عند إطلاقه، إذ يلزم فهم المفهوم.

قلت ارتسام المعنى في النفس أعم من أن يكون في ذاتها أو خزانتها كما في حال ذهول النفس عنه، وإذا أطلق اللفظ ارترسم في ذات النفي بعد زوال ارتسامه فيها، فيكون ادراكا ثانيا بعد زوال الإدراك الأول فلا يلزم اجتماع فهمين لشيء واحد، لكن نفى أن يقال إذا كان المعنى حاصلا في ذات النفس مشاهدا لها وأطلق اللفظ، فلا محالة يكون له حَ دلالة مع أنه يمتنع فهم المعنى في هذه الحالة، وهذا القدر كاف لنا في نقض تعريفها، فالصواب أن يقال على محادات ما في انتفاء الدلالة كون اللفظ بحيث إذا أطلق التفتت النفسي إلى معناه للعلم بالوضع فإنه شامل للكل، الا ترى أنه إذا أطلق مرارا متعاقبة، فإن النفس في كل مرة تنتقل من اللفظ إلى المعنى اهـ كلامه.

❖❖❖❖

فأنت ترى كيف عبر بالصواب إشارة إلى أن غيره ليس بصواب، وإذا كان كذلك فالذي لما ذكر، وفرارا من رجوع صفة الكلام إلى صفة العلم، فإنهما صفتان لا يرجعان لمعنى واحد على ما هو مقرر.

ومعلوم مجمع عليه عند العلماء الأعلام أن تفسر هنا بالمعنى الثاني، وهو الحيثية، ولا يلزم عليه شيء، وقوله في السؤال وإن كانت الدلالة على معنى الصلاحية لزم نفي الكلام أزلا، لأن الصالح لأن يتكلم غير متكلم غير صحيح لأنه ليس معنى الدلالة الصلاحية لأن يتكلم بل معناها كون الكلام الذي ثابت واجب صالح لأن يفهم منه أمر، أي هو بحيث يفهم منه أمره هو ودلالته، أي حيثيته قديمان.

❖❖❖❖

فإذا كان المراد من قول السائل الدلالة على معنى الصلاحية ما قلنا من الحيثية، فاللزوم باطل كما تبين وإذا كان غير ذلك خرج عن التفسيرين معا، وأراد إحداث معنى ثالث للدلالة لم يقل ولم يقم له عليه البرهان، ويلزم عليه، والمحال ما هو واضح البطلان.

❖❖❖❖

وأما المطلب الثاني من السؤال، وهو أن دلالة القرآن على المعنى الأزلي من أي أنواع الدلالة هي؟

فقد كنا نسمع وينقل لنا أن الشيخ الغنيمي في حاشية شرح الصغرى، ذكر السؤال المذكور وقال: ما رأيت من يشبع الغليل عنه سوى ما نسمعه مما قيد عن شيخنا يعني العلامة العبادي، أنه قال بعد ذلك، ظاهره أي السنوسي إن مدلول النظم هو الكلام، والذي أفاده شيخنا من كلامهم أن مدلوله تعلقاته، وعبارته أي العبادي كلامه تعالى صفة واحدة لها تعلقات، تنقسم باعتبار الألفاظ الدالة عليها إلى القرآن وغيره من بقيت الكتب، فهي باللفظ العربي المخصوص قرآنا، وهكذا ضرورة أن التعلقات المدلولة للقرآن غير المدلولة لغيره، فإن فيه من الأحكام ما ليس في غيره، وما يباين وينافي الأحكام التي في غيره، وهكذا غيره فافهم.

وقال الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عرضون لما بين أن الصواب خلاف تقسيم الشهاب القرافي في شرح الأربعين: مدلولات القرآن.

إن مدلولة عبارة القرآن، يطلق على كلامه تعالى، القائم بذاته العلية، لأنه مدلول عليه بعبارة القرآن دلالة عقلية كدلالة إسقني الماء، على أن المتكلم به مقتصر في نفسه للماء ومتحدث به في ضميره بذلك، وليس خاليا من المتحدث خلو الجمادات اهـ، ما قصد نقله منه وإن كان في كلامه طول فليراجعه من أراد.

وإذا فهم مراد هذين الإمامين، وإن كان مراد أحدهما ليس مراد الآخر، إنزاح الإشكال المذكور في السؤال بحول الكبير المتعال، والله سبحانه أعلم.

❖❖❖❖

وكتب الفقير لرحمة مولاه الغني، أحمد بن محمد العربي بن الحاج كان الله وليا ونصيرا.

جواب العلامة أبو عثمان سيدي سعيد بن أبي القاسم العبيدي:

ثم كتب الفقيه أو عثمان سيدي بن أبي القاسم العبيدي غفر الله له بما نصه:

❖❖❖❖

ملخص جواب آخر أن دلالة الكلام الحيثية، وأنه لم يمتنع في الكلام أن يقال أنه يلزم من العلم به العلم شيء آخر، وأنه بحيث يفهم منه، والصالحية في الدلالة لا تستلزم نفي الكلام، فلا يقال أنه صالح لأن يتكلم وأنه غير متكلم كما في السؤال، وحاصلة التزام أن الدلالة بمعنى الحيثية، ولا يلزم محذور الجواب أنا نقول إن كان اعتبار الحيثية بالنسبة إلى الغير كما هو الظاهر اقتضى أنه في أزله متكلم كما أفصح به بكلام مسموع له مبصر.

❖❖❖❖

وحَ يعود السؤال من حيث جاء فيقال: كلامه تعالى في أزله الدال له على معلوماته المسموع بسمعه المبصر ببصره، أما معنى دلالته ومنشأه فرأيان الاتحاد إلى ذهن السامع اتحاد المتعلق الذي هو المعلومات، وإن كان على معنى الصلاحية اقتضى كلامه غير الدلالة كما هو أجاب به بعض القاصرين ممن لا دربة له فهو تحصيل.

والحاصل أن السؤال غير مندفع لما ذكر من الجواب، لأنه في تحقيق دلالة الكلام بالنسبة إلى المتكلم، فينتعش وينتقش قوله، والبحث على بيانه، إذ تعريفها ببعض خواصها، فإما لحصول التمييز به فهو ذهول منه رحمه الله، فإن السؤال ما تعرض لعلم الله على معنى ما ذكر، بل ولا قصد الكلام عليه مطلقا، وإنما البحث جرديله على اتحاد صفة الكلام وصفة العلم على زعمه قوله، ومن المعتقد المقطوع به إلى قوله ولا في آخرية، هو مستدرك في البيان غير ملم بما يقنع جوابا.

وأما جوابه الثاني فهو صحيح منجل بكلام العبادي إلا أن في كلام المجيب يوهم الإستدلال بكلام العبادي، على أن الدلالة وضعية لا عقلية وهو غير صحيح، وأن في كلام العبادي، إيهام المباينة بين القرآن وغيره، والبحث من جهة أنه لم ينح منح اتحاد الدلالتين بل نحو منحى العموم والخصوص فيها، وإن دلالة القرآن أخص.

نعم صح الجواب من جهة اتضاح دلالة الإلتزام، إذ الأخص مستلزم للأعم، فكلام العبادي قاض باللزوم، وأما ما ذكره من كلام ابن عرضون المسبوق به يعني ابن عرضون بالبحث فيه فهو صحيح، وبنحوه أو قريب منه اعترضت جوابا لبعضهم على السؤال، لكن التزامه آخرا لكون الدلالة عقلية إن أراد بمعنى ما ذكر عن العبادي فهو صحيح، وإن أراد بمعنى ما ذكر عن ابن عرضون فهو غير صحيح، ولا دليل يبين به الملزوم الذي ادعاه، وأضعف منه دعوى كون اللزوم بالنسبة للمومن الممارس لعلم ذلك، لأن اللزوم العقلي لا يتقيد بقوم دون قوم... اهـ ما وجدته من خط من نقل من خط الشيخ العلامة سيدي الطيب بن المحقق الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي نفعنا الله بهم آمين والحمد لله رب العالمين.

ح ع؛ د 2982

في ظلال الحديث:

الحديث التاسع والثمانون: المراقبة لله تعالى

نص الحديث:

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا" ، قال ثوبان:يارسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: "أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" رواه ابن ماجة.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ج2/ص1418/ح4245. وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير ج1/ص97/ح662. وفي مسند الشاميين ج1/ص393/ح680 وقال لايروى عن ثوبان إلا بهذا الإسناد تفرد به عقبة رواه ابن ماجة عن عيسى بن يونس فوافقناه فيه بعلو وليس له عنده غيره، وأورده السيوطي في زيادة الجامع الصغير ح 2367، والألباني في صحيح ابن ماجة، كتاب الأخلاق والبر والصلة والزهد. ج2/ص417/ح3423.

درجة الحديث: هذا الحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

سند الحديث: هذا الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه فقال: حدثنا عيسى بن يونس الرملي حدثنا عقبة بن علقمة ابن خديج المعافري عن أرطاة بن المنذر عن ابي عامر الألهاني عن ثوبان وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا عيسى بن يونس الرملي: هو أبو موسى عيسى بن يونس بن أبان الفاخوري الرملي، من الطبقة الوسطى من تبع الأتباع. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمع منه أبي في الرحلة الثانية وسئل عنه فقال صدوق وقال أبو داود صدوق وقال النسائي ثقة وقال في موضع آخر لابأس به وذكره ابن حبان في كتاب الثقات مات سنة 264هـ.

حدثنا عقبة بن علقمة بن خديج المعافري: هو أبو عبد الرحمن عقبة بن علقمة بن خديج المعافري البيروتي من أهل طرابلس من المغرب سكن الشام وكان خيارا. قال أبو حاتم ثقة وقال الحاكم ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة 204. روى له النسائي وابن ماجة.

عن أرطاة بن المنذر: هو أبو عدي أرطاة بن المنذر بن الأسود بن ثابت الألهاني السكوني الشامي الحمصي أدرك بعضا من أصحاب رسول الله، قال أحمد بن حنبل ثقة وقال يحيى بن معين ثقة وقال أبو حاتم الرازي لابأس به وقال ابن حبان ثقة حافظ فقيه مات سنة166 وقيل 163هـ.

عن أبي عامر الألهاني: هو أبو عامر عبد الله بن غابر الألهاني الشامي الحمصي أدرك عمر بن الخطاب وروى عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني حمصي لابأس به وقال العجلي شامي تابعي ثقة.

عن ثوبان: هو أبو عبد الله، ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن)اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه وقال: "إن شئت تلحق بمن أنت منهم فعلت وإن شئت أن تثبت فأنت منا أهل البيت" فثبت ولم يزل معه في سفره وحضره ثم خرج إلى الشام فنزل الرملة ثم حمص وابتنى بها دارا ومات بها سنة 54هـ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 128 حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم مدى أهمية وخطورة مراقبة الله عز وجل في السر خصوصا، ووجوب عدم انتهاك محارم الله عز وجل مهما كانت الظروف والأحوال، مع عدم الاعتقاد بأن من يفعل الفواحش في الخفاء يخفف عنه العذاب، وإنه لن يراقب الله عز وجل في السر والعلن إلا بلغ كمال الإيمان.

مفردات الحديث

"هباء منثورا": الهباء: الغبار، أو يشبه الدخان، ودقاق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض .

"جلهم لنا": من التجلية أي اكشف حالهم لنا.

"من جلدتكم":من جنسكم

"يأخذون من الليل": أي يأخذون من عبادة الليل نصيبا.

المعنى العام

تقديم: قد يبتعد الإنسان عن المعاصي والذنوب إذا كان يحضره الناس، وعلى مرأى ومشهد منهم، لكنه إذا خلا بنفسه، وغاب عن أعين الناس ظن أنه وحيدا، أطلق لنفسه العنان، فاقترف السيئات، وارتكب المنكرات من غير رقيب. بل إن الإنسان ليقع في الذنب، لو كان بحضرته طفل صغير لامتنع من الوقوع فيه، فصار حياؤه من هذا الطفل أشد من حيائه من الله جلا وعلا، وهذه غفلة وجب معالجتها بالرجوع إلى كتاب الله عز وجل وسنة وسيرة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم.

أولا: مفهوم مراقبة الله:

المراقبة لغة: مصدر مأخوذ من راقب يراقب مراقبة، وتدل على الانتصاب لمراعاة الشيء. والرقيب: الحافظ وراقب الله في أمره: أي خافه.

وقال المحاسبي: "المراقبة دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في السكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين". وقال ابن القيم: "المراقبة دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه". وقال القاسمي: "المراقبة هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه".

والمراقبة أشمل من الإحسان فهي تشمل المراقبة في الطاعات وفي المعاصي وفي المباحات، أما الإحسان فيشمل المراقبة في الطاعات والعبادات فقط.

ثانيا: درجات المراقبة:

أ. الدرجة الأولى: استدامة السير إلى الله وتعظيمه، وحضور القلب معه والذهول عن غيره، والقرب إليه مع الأنس والسرور به، فإن الحضور يوجب أنسا ومحبة، وأما سرور القلب بالله وفرحه به، وقرة العين به لايشبهه من نعيم الدنيا ألبتة.... ولاريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل، وبذل الجهد في طلبه وابتغاء مرضاته".

ب. الدرجة الثانية: مراقبة الله بصيانة الباطن والظاهر: فصيانة الظاهر بحفظ الحركات الظاهرة، وصيانة الباطن بحفظ الخواطر والإرادات والحركات الباطنة".

ج. الدرجة الثالثة: مراقبة الله بشهود انفراده سبحانه بأزليته وحده، وهذا الشهود متعلق بأسمائه وصفاته سبحانه، وتقدم علمه بالأشياء ووقوعها في الأبد مطابقة لعلمه الأزلي، وهو يعطي إيمانا ومعرفة، وإثباتا للعلم والقدرة، والفعل، والقضاء والقدر.

ثالثا: فضل المراقبة لله تعالى:

أ. المراقبة سبب من أسباب دخول الجنة: فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه... وهو إشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل، ومراقبته، ومحبته ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له، ولجميع مقامات الإيمان"وسئل ذو النون: بم ينال العبد الجنة؟فقال: بخمس، وذكر منها: "ومراقبة الله في السر والعلانية".

ب. بالمراقبة يكسب العبد رضا الله سبحانه وتعالى عنه: قال أهل العلم في قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)البينة:8. ذلك لمن راقب ربه عز وجل، وحاسب نفسه وتزود لمعاده".

ج. أنها من أعظم البواعث على المسارعة إلى الطاعات: قال القصري: "إذا عرف العبد مقام الإحسان، سارع إلى طاعته قدر وسعه، فهذا حال المحب الذي يعبد الله كأنه يراه".

د. بالمراقبة يحصل العبد على معية الله وتأييده: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل: 128.

هـ. أنها تعينه على ترك المعاصي والمنكرات: قال ابن الجوزي:... والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط"أي الوقوع في الذنوب.

و. أنها من أفضل الطاعات وأعلاها: قال ابن عطاء: "أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات".

ز. أنها من خصال الإيمان وثمراته: فإنه لايراقب الله عز وجل في السر والعلن إلا من استكمل الإيمان، فتكون المراقبة من الإيمان وثمرة له.

ح. بالمراقبة يسعد العبد وتصلح أحواله في الدارين: قال ابن علان: "فينبغي ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشا ومعادا، بتحصيل ما لابد منه في قوام البدن، وبقاء النوع الإنساني، ثم بالسعي في الكمالات العلمية، والفضائل العلية التي هي وسيلة لنيل السعادة الأبدية... وذلك إنما يكون بالمراقبة".

رابعا: كيف تراقب الله؟

أ. أن تنظر إلى همك وإرادتك قبل فعل الطاعات. قال الحسن البصري: "رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر".

ب. أن تنظر إلى إرادتك عند الشروع في فعل الطاعات فتخلص نيتك لله سبحانه وتعالى:

ج. أن تراقب الله قبل الهم بالمعصية، فتكف عنها:

د. أن تراقب الله بعد الوقوع في المعاصي بالتوبة. قال ابن القيم: "ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع".

هـ أن تراقب الله في المباحات فتشكره على نعمه، ولا تسترسل بالكلية فيها: ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب، والشكر على النعم، فإنه لايخلو العبد من نعمة لابد له من الشكر عليها.

وأخيرا: إن تقوى الله في الغيب، وخشيته في السر، دليل كمال الإيمان، وسبب حصول الغفران، ودخول الجنان، بها ينال العبد كريم الأجر وكبيره (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كبير)يس:11 (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) الملك:12 (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد، هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ، من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، ادخولها بسلام ذلك يوم الخلود، لهم مايشاؤون فيها ولدينا مريد) (ق:3531).

نسأله سبحانه أن يرزقنا الخشية منه ومراقبته في السر والعلن. والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

بعض المراجع:

. موعظة المؤمنين للقاسمي
. أعمال القلوب وأثرها على الإيمان لمحمود الدوكوري.
. مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة.
. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
. مدارج السالكين لابن القيم.
. الوصايا للمحاسبي.
. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي...

حديث المنابر

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا، والعاقبة للمتقين

إعداد الأستاذ: عبد الله الطلبي كدير

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل العاقبة في الدنيا والآخرة للمتقين، وجعل عاقبة الخزي والعار على من يريد في الأرض علوا وكبرا وطغيانا وفسادا... أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له، هو الله الذي لا إله إلاهو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم... وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله خير من عبد الله تعالى وأطاعه، وتواضع لله بالسعي بالصلاح والإصلاح بين عباده ولم يبغ في الأرض علوا ولا فسادا، فجعل الله تعالى له العلو والفلاح وحسن العاقبة في الدنيا وفي الآخرة، ولمن اتبعه بإحسان وصلاح وإصلاح إلى يوم الدين... فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه، ولم يرد في الأرض علوا ولافسادا وكان من المتقين إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون المتقون، يقول الله تعالى عز من قائل في سورة القصص، الآية83 منها: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين".

الآخرة غيب يعلمه الله تعالى وحده، ولكنها أيضا، حق علمنا الله تعالى إياه، وأكده لنا في كتابه الحكيم وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم... وهذه الدار الآخرة الحق يعلمها حق العلم- أيضا- الراسخون في العلم.. العلم الحقيقي القائم على تقويم الأشياء بقيمها الحقيقية... فإن كانت هذه الحقائق مما يمكن الوصول إليه والاطمئنان إليه بالوسائل المتاحة للانسان سعوا إلى معرفتها وبذلوا في معرفتها الجهد ليزدادوا علما وليرتفعوا بما أوتوه من العلم درجات عند الله... وإن كانت الحقائق مما تقصر عن إدراكه حواس الإنسان الضعيفة القاصرة فإنهم يرجعون فيها إلى وحي الله تعالى وسنة رسوله الأمين الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى وقالوا: آمنا بهذه الحقائق لأنها كلها من عند ربنا.. ومن أهم حقائق الغيب التي يؤمن بها الراسخون في العلم ويسلمون في معرفتها إلى الله تعالى... ويرجعون أمرها إلى الله تعالى العليم الحكيم.. الدارالآخرة. وبالإيمان واليقين الثابت المكين المتين بهذه الدار الآخرة... يطأطئ المؤمنون رؤوسهم لعظمة الله وجلاله، ويتواضعون لخلقه، ويسخرون ماآتاهم الله تعالى من مواهب العلم لخدمة خلق الله عيال الله ونفعهم وإصلاح أحوالهم ومآلهم.. ولايتخذون مواهب العلم التي آتاهم الله وسائل للاستعلاء والكبرياء والفساد والإفساد.. بل إنهم حين يذكرون الآخرة يخشعون ويخضعون لله ملك يوم الدين.. ويستعينون به، ويجعلون من عبادتهم وسيلة للتقرب إليه بالسعي الدائب الحثيث إلى إنكار ذواتهم ونسيان أنانيتهم، فلا يعتزون إلا بخدمة الناس كل الناس، لابجاههم ولا بمالهم ولابمنصبهم ولابحسبهم ولابنسبهم.. يذكرون الدار الآخرة فتمتلئ قلوبهم بهيبة الله وخشيته وخوف مقامه.. فلا يرون لأنفسهم عزا في منصب يتطلعون إليه... ولايجدون لذة في جاه يريدون الوصول إليه... ولايحسون بفخر لمال يكسبونه.. ولايتيهون اختيالا بقوة مادية أو معنوية تدركهم أو يدركونها بوسيلة من الوسائل.. إن إيمانهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة يجعلهم يسخرون أنفسهم ووسائلهم وأموالهم ومناصبهم وجاههم وقوتهم للصالح العالم.. إن إيمانهم بالدار الآخرة يجعلهم يفكرون ويعملون بما يفكرون لنفع الناس وخدمة الناس ومصلحة الناس... ويعتبرون أن كل تردد أو تهاون في ذلك إنما هو فساد وإفساد .. قد يعود في الأجل القريب على صاحبه بنفع رخيص.. وفي الأجل الآتي الموعود الذي قد يراه عمي البصائر بعيدا وهو قريب.. في الدار الآخرة هوان وخزي وذل وجحيم... والله يمهل ولايهمل... وكل آت لناظره قريب... ومن خسر الآخرة فقد خسر نفسه وأهله وذاك هو الخسران المبين.

أما حسن العاقبة في الدنيا والآخرة فهو للمتقين.. والمتقون هم الذين يخشون الله فيصلحون ولايفسدون.. هم الذين يراقبون الله في كل مايأتون ومايدعون.. هم الذين يتجنبون غضبه في كل مايعلمون..هم الذين يبتغون رضى الله في كل حركاتهم وسكناتهم... ورضى الله هو في عدم الاستعلاء بمنصب أوجاه أو مال أو قوة.. ورضى الله هو في تسخير المنصب والجاه والمال والقوة لنفع كل الناس... إن هول الآخرة شديد على من يفسد ولايصلح.. وأفسد المفسدين هم الذين يطلبون المناصب والجاه والقوة والمال للبغي والظلم والكبر والتباهي والاختيال والفخر.. يقول الله تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علو في الأرض ولافسادا(والفساد هنا على إطلاقه أي كل نوع من أنواع الفساد) "ولم يعلق جل وعلا وعده الحسن بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتها وميل القلوب إليهما.. فبمجرد نية المرء أن يطلب المنصب أو الجاه أو المال أو القوة من أجل العلو والفساد فهو فاسد مفسد، أفسد دنياه وآخرته هو قبل غيره حتى ولم يصل إلى مبتغاه إن لم يتب).

أما العاقبة الحسنة فهي للمتقين... الذين يتقون الله بترك مانهى عنه.. وأشد ماشدد الله في النهي عنه هو الفساد من رشوة واستغلال نفوذ وغيرهما.. وتقوى الله تتحقق أيضا، بفعل أمر الله به، وما يأمر الله تعالى إلا بما يصلح دنيا الناس وأخرتهم.. وخير مايصلحهم أن يعملوا كل في حدود وسعه وسعته في المصلحة العامة التي تعم الناس كل الناس... قال الإمام ابن كثير في تفسيره: وروى ابن جرير عن علي قال:إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى : "تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا، والعاقبة للمتقين" وهذا محمول على با إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: "إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد" وأما إذا قال: "إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد" وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لابأس به، فقد ثبت أن رجلا قال: يارسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك؟ فقال: "لا، إن الله جميل يحب الجمال"

فياأيها المؤمنون المتقون، تذكروا بقلوب واعية بصيرة أن الدار الآخرة، وهي حق لاريب فيه وأن نعيمها المقيم الذي لايحول ولا يزول وهو يقين ثابت لاشك فيه، جعلها الله تعالى وعدا من حسن وهو لايخلف الميعاد لعباده المتواضعين، الذين لايريدون علوا في الأرض والعلو كما فسره سلفنا الصالح هو البغي والتكبر بغير حق والفساد هنا أيضا فسره سلفنا الصالح أيضا بأنه هو أخذ الاموال العامة والخاصة بغير حق و هو العمل بالمعاصي وأعصى المعاصي أن يطلب المرء المسلم منصبا أو جاها أو مالا وهو لايريد إلا علوا في الأرض وفسادا.. وماظهر الفساد في البر والبحر إلا بما كسبت أيدي الناس ممن يعلم ظاهرا من حياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون.. لعلوهم في الأرض بغير الحق ولفسادهم ظالمين فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب والأخرة... واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم لانريد بها علوا ولافسادا.. واجعل عاقبتنا عاقبة المتقين عزا في الدنيا بك ولك ونعيما مقيما في الآخرة في دار السلام عندك مع المتقين الذين أكرمتهم في دنياهم بالإيمان بك وبكتبك ورسلك وملائكتك وبالدار الآخرة ونعمتهم في الدار الآخرة مع المقربين الشهود أهل التواضع والكرم والجود يارحيم ياودود.. سبحان ربك رب العزة عمايصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل عاقبة الخير والحسنى للمتقين في الدنيا والآخرة.. الحمد لله الذي جعل الدار الآخرة لمن لهج من عباده بذكره وقام بحقوق عباده وسارع إلى مرضاته في السر والعلن... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه من كل متق متواضع يتبع في أمور الغيب وحي الله... ويسترشد في أمور الشهادة بكتاب الله وسنة رسول الله ويعمل بما يرضي الله... ويقتدي بآثار خير الخلق من عباد الله ويتواضع لخلق الله ويصحب الأخيار من أولياء الله الذين لايريدون في الأرض علوا ولافسادا...

أيها المؤمنون المتقون لقد حاول العلم الحديث أن يثبت حياة الإنسان في الآخرة الباقية بعد موته في هذه الدنيا الفانية.. والحق أن الإنسان يعرف ظاهرا من هذه الحياة الدنيا.. وأقول ظاهرا من الحياة الدنيا فقط، لأنه يمكنه أن يتصل به عن طريق الحواس والعقل في حالته العادية.. أما بعد الموت فإن الإنسان يستحيل عليه إدراك العالم بنفس النظام الذهني العادي الدنيوي من حواسه وعقله، لأن خلاياه المادية تتبعثر وتفنى.. ولكن فناء مادية الإنسان لايعني فناء الإنسان نفسه وروحه... لأن جسم الإنسان مكون من خلايا معقدة كل منها يمكن اعتباره جسما كاملا مستقلا.. وهي في الإنسان العادي تزيد على 260 مليار مليون خلية حية.. هي كالآجر في بناء عمارة من العمارات... إلا أن الآجر في العمارة لايتغير ولايفنى إلا بفناء العمارة كلها.. أما خلايا الإنسان فإنها تفنى وتتجدد... بل يؤكد العلماء أن الإنسان تتجدد خلاياه كلها المكونة لجسمه كله مرة كل عشر سنوات فالإنسان في جسمه الظاهر يفنى بفناء خلاياه المادية الظاهرة.. ولكنه في باطنه وداخله لايتغير... فعلمه يبقى، وعاداته تبقى، وذاكرته تبقى، وآماله وأمانيه تبقى، وأفكاره تبقى، وإيمانه يبقى،، إن جسم الإنسان يفنى ماديا من أظافر قدمه إلى شعر رأسه وتتجدد له أعضاء أخرى غير التي كانت له ذلك مرة كل عشر سنوات على الأقل... ومعنى هذا أنه مات... وهو أمامنا حي يسعى... وهذا معناه بكل بساطة أن الإنسان يفنى ماديا ويبقى حيا روحيا... وهذا ما أكده وأثبته العلم حاليا..

وذلك يقع لكل إنسان حوالي السبع من المرات طيلة حياته الدنيوية... أو ليس الله الذي يميته ويحييه مرات بقادر على أن يحييه المرة الآخيرة ويبعثه في الدار الآخرة ليحاسبه على علوه في الأرض وفساده... أو لينعم عليه بالنعيم والرضوان جزاء نفعه لكل خلقه وعياله على أرضه الطيبة؟ أو ليس الله تعالى الذي يقول وقوله الحق في كتابه الحكيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون"؟ فيا أخي المؤمن المتقي أيقن بالحياة بعد الموت في الدار الآخرة... فالدنيا معبر وآخرة مقر... وتواضعك في هذه الدنيا رفعة لك في تلك الآخرة وخير تواضعك أن تطلب العلم لله ونفع خلق الله... وخير ما تتجنب به الفساد وضياع الدار الآخرة أن تسخر نفسك ومواهبك ومالك ومنصبك لنفع الناس كل الناس لتكون أحب الناس إلى رب الناس... وأفسد الفساد الذي يفسد الدنيا والآخرة هو الرشوة... هذا الداء الدوي العضال... لأنها تبطل الحقوق وتحقق الباطل... والراشي والمرتشي والساعي بينهم ملعون على لسان رسول الله (ﷺ) أما من يطلب أو يتولى منصبا ليستنزف أموال الناس بالرشوة كي يقوم بواجبه ويقضي مصالحه فهو المخصوص وحده بالرشوة في هذه الحال...

فاللهم ايقظ ضمائرنا حتى نخاف مقامك...وفقه قلوبنا حتى نلهم رشدنا وأنر بصائرنا حتى نثبت على الحق... واحلل عقد ألسنتنا حتى نقول الحق ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين، واشرح صدورنا حتى تفرح بالخير ونبادر إليه، ويسر أمورنا في ما ترضاه منا ولنا من فعل الخير وترك المنكرات.. حتى نكون من المتقين الذين أحسنت عاقبتهم في الأمور كلها وأجرهم من خزي الدنيا وعذاب الاخرة... وجعلت لهم الدار الآخرة بتقواهم وبعدم علوهم في الأرض أو فسادهم.. مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم كن له الولي والنصير، والمعين والظهير، واصلح له الحاشية والبطانة والوزير، واجعله من أهل العلى الشامخ والمجد الراسخ في الحق لنصرة الحق بالحق وأقر عينه بولي عهده الفرحة الكبرى وأجمل البشرى مولانا الحسن، وبصنوه الرشيد مولانا الرشيد، وبسائر أهله وأسرته وشعبه... وارحم أبوي الأمة مولانا محمد الخامس ومولانا الحسن الثاني واجعل لديك من المقربين وأظلهما بظلك يوم لاظل إلا ظلك...

. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت...

. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العامين إنك حميد مجيد... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت وحدة اليوم وقياس ضبط الوقت بالمزاول الشمسية

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

- الحلقة الأخيرة-

■ ومهما كانت أنواع الساعات وطرق إدارتها فالقصد منها الوقوف على حساب الزمن بالساعة المستوية التي هي عبارة عن قسم واحد من أربعة وعشرين قسما من اليوم الكامل الذي هو مجموع الليل والنهار، إلا أن المسلمين من عهد ظهور الساعة يعتبرون المبدأ من غروب الشمس ويديرون ساعاتهم على ذلك ، وأكثر الأمم الباقية يعتبرون الزوال مبدأ لهم وعلى ذلك تدار ساعاتهم، وتسمى الساعات على الاعتبار الأول غروبية وعلى الاعتبار الثاني تسمى زوالية ، فأصحاب الساعات الزوالية رأوا أن تكون بسائطهم زوالية، كما رأى أرباب الساعات الغروبية أن يجعلوا بسائطهم غروبية وبسبب ماذكر سقط اعتبار بسائط الساعات الزمانية وترك استعمالها.

ومع مسيس الحاجة إلى البسائط الغروبية لم تدون فيما نعلم قاعدة نظرية لبيان أصول رسمها كما دونت نظريات لبيان أصول رسم البسائط الزوالية في كثير من الكتب الأفرنجية، بل يؤخذ من قول بعض ارباب هذا الفن أن رسم البسائط الغروبية لم يكن تحت أساسات نظرية وروابط كلية ، بل ربما يمكن رسمها بتتبع مواقع ظل الشاخص مدة حول كامل أو في كل ساعة من بعض أيام معينة./

وإذا كانت المزاول الآن أصبحت تعد زينة وديكورا وزخرفة في الأماكن التاريخية ، فما زال دورها يقوم بأعمال إيجابية في ضبط الوقت وخصوصا وقت الزوال أي عند حلول الشمس دائرة نصف النهار.

قد يتخيل المرء أن الزمن الساعات الشمسية ولى الآن وهو في ذلك على ضلال، فما زال علماء الفلك يصنعون هذا النوع من الساعات ويضيفون عليها عناصر ومعطيات أكثر دقة من أي وقت مضى، أما الفنانون فمازالوا ينكبون على هذا النوع من التحف لأنهم يزيدون فيها حنينا إلى الماضي وولعا بالأشياء القديمة المتقنة ، حيث إن جمعية تأسست في فرنسا هدفها القيام بجرد لجميع الساعات الشمسية الموجودة في فرنسا بهدف صيانتها و والحفاظ عليها وتجديد ما أتلف منها في الوقت الذي قطع فيه التطور أشواطا ، ليست هذه الظاهرة سوى مجرد تأكيد على أن رونق الأشياء القديمة لم يمت وأن العديدين منا يفضلون تلك المصنوعات القديمة والبسيطة على اختراعات اليوم المعقدة.

ومازالت هذه الساعات تعتبر في عداد الآثار الفنية ، وهنا بالمملكة مازالت توجد على أسطحة بعض المساجد والأضرحة والأماكن العمومية بعض من هذه الساعات.

في مدينة الرباط يشاهد على واجهة بناية مقر المكتب الاستشاري لحقوق الانسان، بلعلو، ساعة شمسية وضع تخطيطها العالم الفلكي بن الحفيان الشرقاوي الرباطي، وهذه الساعة سقط شاخصها ثم أعيد في وضعية غير لائقة ويظهر أن الذي أعاده ليس من أهل فن التوقيت حيث وضعه وضعا مشوها وليس في مكانه الصحيح ، وحاولت أن أتصل بمن يهمه الأمر في إعادته إلى وضعيته الصحيحة ولكنني لم أجد مساعدة على ذلك.

كما توجد ساعة بضريح أبي العباس السبتي بمراكش ، وأخرى بسطح جامع القرويين بفاس وأخرى بالمسجد الأعظم بوجدة ، وأخرى بالمسجد الأعظم بتارودانت، وأخرى وضعتها مؤخرا بالمجلس العلمي بوجدة وغير ذلك كثير.

وهذه المزاولة الشمسية على أنواعها، منها ماهو في وضع افقي وتسمى البسيطة ، ومنها ماهو في وضع عمودي وتسمى بالقائمة، وهذه القائمة تكون غير منحرفة أي مواجهة لعين الشمال أو الجنوب ، وتكون منحرفة ، وهذا الانحراف إلا أن يواجه الربع الشرقي الجنوبي أو الربع الغربي الجنوبي أو الربع الشرقي الشمالي أو الربع الغربي الشمالي، وهناك من هذه الساعات من أن تكون مواجهة لعين المشرق أو عين المغرب .

وفي المكتبة الإسلامية نجد كثيرا من المراجع المغربية وغير المغربية تعد بالمئات وتبين كيفية تخطيط هذه المزاول ووضع هندسة خطوطها وكيفية وضعها إما قائمة او بسيطة.

وأهم هذه المراجع " قوت الروح " وهو منظومة من بحر الرجز وضعها سيدي محمد العلمي المتوفى سنة 1954.

بين فيها كيفية تخطيط المزاول على اختلاف أنواعها

أولها:

حمدا لمن بسط فضله على
عباده والشمس أجرى في العلا
على نظام مستمر لامد
لا يعتريه خلل والظل مد
ثم السلام والصلاة الدائمة
على الذي به المزايا قائمة
محمد قطب مدار الدين
الصادق المصدق الأمين
من استقام به من كان انحرف
عن الهدى وآله ذوى الشرف
هذا وحيث العلم بالأوقات
يحصل بالحساب والآلات
وإن من طرقه القريبة
طريقة المزاول الغريبة
قصدت نظم أوجه التخطيط
لها بقول واضح بسيط
سميته بتحفة المزاول
لعمل التوقيت بالمزاول
وله أيضا اسم قوت الروح
في رسم الأوقات على السطوح
وأسأل الله الإعانة على
تيسيره ونشره بين الملا

وقد شرحها بشرحين كبير وصغير ، أما الشرح الكبير فلم نعثر عليه ، أما الشرح الصغير فعندي ثلاث نسخ منه، وتوجد نسخة منه بالخزانة الملكية بالرباط رقم 10915، ويسمى هذا الشرح (مفتاح أبواب الصروح لنيل قوت الروح).

إلا أن كثيرا من المؤلفات في هذا الشأن تقتصر على رسم المزاول الثابتة على السطوح.

وهناك نوع من هذه المزاول الشمسية مزولة متنقلة تسمى (بسيطة اليد) وهذه المزولة هي مزولة متنقلة على الساعة الشمسية العربية المستوية التي تكون على الساعة 12 دائما عند حلول الشمس دائرة نصف النهار.

وهذه المزولة تعطي الساعات الماضية من النهار ومواقيت الصلاة والجهات الأربع وجهة القبلة بسرعة فائقة ومتطورة ، وتلاحظ في شكلها الملحق بهذا المقال ساعتين ، فعلى اليمين ساعة مزولية متنقلة ، وعلى اليسار ساعة منبسطة، كلاهما لعرض الرباط ، وأردت الجمع بين الساعتين لفائدة معرفة الجهات الأربع وجهة القبلة مباشرة ، كما تلاحظ الدائرة الملحقة بالشكل هي للتقويم ولمعرفة غاية الارتفاع لكل يوم على مدار السنة الميلادية ، وضعتها كذلك تسهيلا في أعمال هذه الآلة.

وأهم ما تقوم به هذه الآلة هو الدلالة على القبلة بوجه صحيح ومباشر وسريع في أقل من بضع ثوان.

وللراغبين في المزيد من المعلومات عن هذه الآلة الاتصال بكاتب المقال عبر هذه الجريدة.

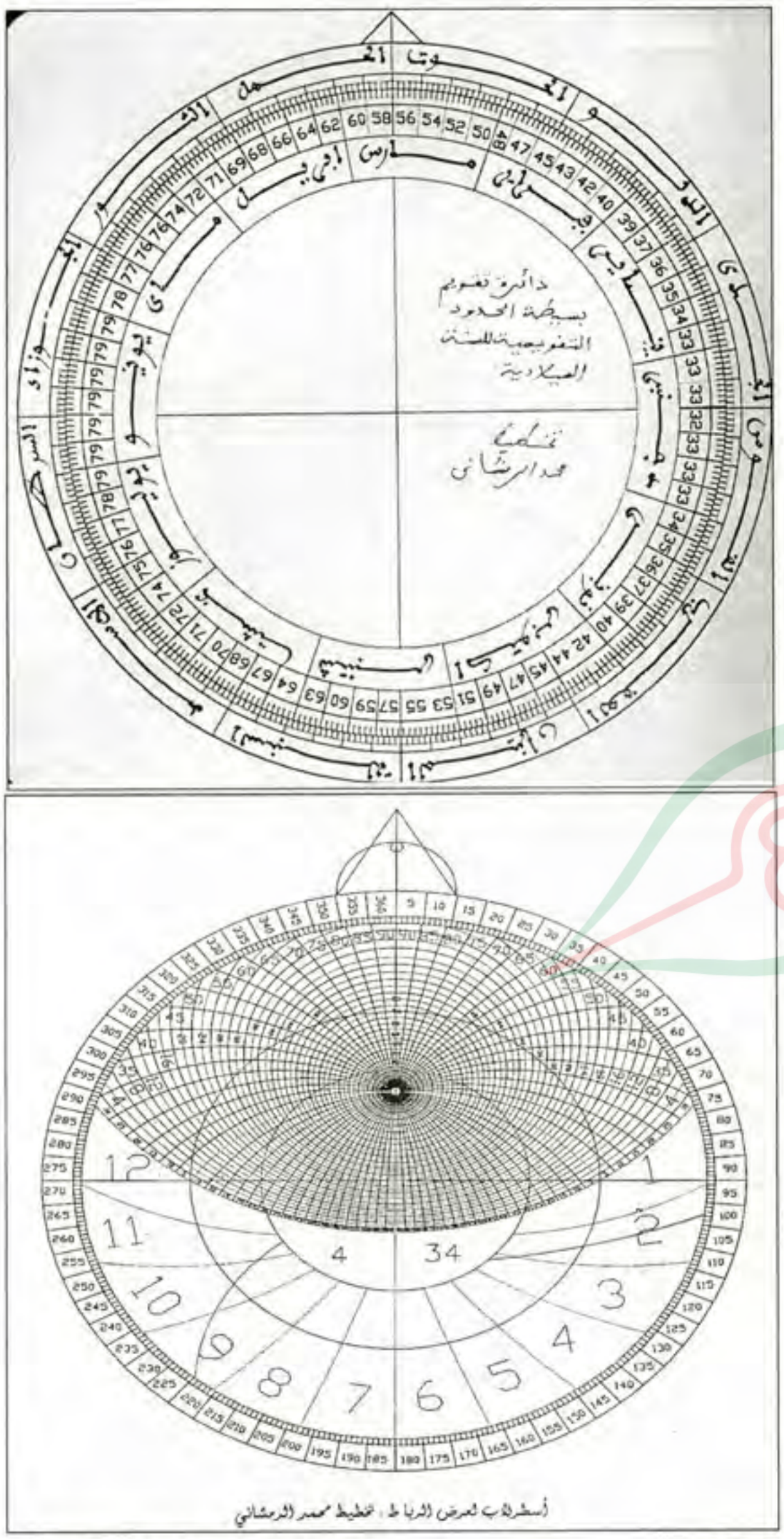

أسطرلاب لعرض الرباط : تخطيط محمد الرمشاني

من أعلام التصوف المغربي

- الحلقة الأولى-

■ أبو العباس أحمد ابن عجيبة التطواني ■ إعداد الأستاذة: زبيدة بن علي الورياغلي

■ ارتأيت القيام بوصف تحليلي لترجمة الشيخ في المصادر والمراجع المغربية، وتقديمها مرتبة ترتيبا روعي فيه مدى أهمية الترجمة وزمانها.

1. كتاب "نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان ومن حكم فيها، أو تقرر من الأعيان" وهو مخطوط خاص. مؤلفه هو العلامة الفقيه العدل المؤرخ أبو محمد عبد السلام بن أحمد السكيرج التطواني المتوفى سنة1250هـ، تلميذ ابن عجيبة ومعاصره، وقد خص المؤلف في كتابه هذا الشيخ بأجل النعوت والأوصاف. وتأتي هذه الترجمة من حيث درجة الأهمية بعد ترجمة شيخنا لنفسه في فهرسته، لكون المؤرخ شارك المترجم له طلب العلم على ثلة من علماء تطوان حيث يقول في ص62من كتابه: "فقرأنا جميعا على الشيخين سيدي عبد الكريم بن قريش، وسيدي محمد التلمساني"هـ. وقد ذكر المؤلف العلوم التي أخذها عن الشيخ ابن عجيبة، كما أشار إلى مروياته وتآليفه العديدة.

وتكتسي ترجمة الفقيه السكيرج لشيخه سيدي أحمد ابن عجيبة في مؤلفه هذا . ضمن علماء وشيوخ تطوان المشهورين . أهمية بالغة، ذلك أن تاريخ السكيرج "يعتبر أول تاريخ بلداني لمدينة تطوان" ويعد مصدرا تاريخيا أساسيا للمدينة، يتعرف القارئ من خلاله على مدى الازدهار الفكري والعلمي الذي عرفته تطوان في أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، وعن النشاط التأليفي والتعليمي الذي اضطلع به كبار علمائها وفقهائها آنذاك.

2. كنز الأسرار ومعدن الأخيار في مناقب الشيخ العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار:

للشريف بوزيان المعسكري المتوفى بفاس سنة 1271هـ يعتبر هذا الكتاب سجلا لتراجم طبقات الطريقة الدرقاوية ورجالاتها، أورد فيه صاحبه تراجم أعلام الطريقة أمثال شيخه مولاي العربي الدرقاوي والشيخ علي العمراني الملقب بالجمل والشيخ محمد البوزيدي وغيرهم، ومن بينهم الشيخ سيدي أحمد ابن عجيبة الذي خصه المؤلف بترجمة وافية أسبغ عليه فيها جليل الصفات والنعوت، وحميد السير والبركات، حيث قال عنه: "كان حجة الطائفة الدرقاوية، مبينا لأحكامها وناشرا لأعلامها، سبر عن علومها حتى صار ينبوعا لشموسها وأقمارها ونجومها" المرجع المذكور ص:97 وذكر أنه ألف نيفا وثلاثين تأليفا عايش فيها الشريعة والطريقة والحقيقة.

وقد أشار في معرض حديثه عن تفسير ابن عجيبة "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" إلى أنه سار في تأليفه على طريق المحققين من المفسرين كالإمام ابن عطية والإمام البيضاوي وغيرهما، والإشارة كالقشيري والسلمي والورتحبيبي وغيرهم. ثم أورد المؤلف أسماء بعض شيوخ ابن عجيبة الذين قرأ عليهم بفاس كالعلامة سيدي التاودي بن سودة والفقيه الأجل سيدي محمد الرهوني صاحب الحاشية، لكن سيدي أحمد . يقول المؤلف . "بعد مدة لقي الصوفية أهل الباطن وهم أشياخنا وأخذ عنهم وسلك مسلكهم وسكن ديارهم ونال خيرهم وفتحت له وعليه أسرار الحقيقة"ص:100.

وختم المؤلف ترجمة شيخنا بذكر وفاته بدار شيخه البوزيدي، ثم إعادة دفنه بزاويته بالزميج بعد نقله إليها من غمارة ولم ينس المؤلف تخصيص حيزمهم من كتابه للترجمة للفقيه المحترم والمبجل العارف بالله سيدي الهاشمي ابن عجيبة شقيق سيدي احمد ورفيقه في الطريقة. لكن المؤلف وقع في خطأ كبير حين ذكر أن تاريخ وفاة الشيخ أحمد وشقيقه سيدي الهاشمي كان سنة 1225هـ، خلافا لما أرخ له ممن ترجموا للشيخين أي سنة 1224هـ.

3. عمدة الراوية في تاريخ أخبار تطاوين:

للفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد الرهوني. استهل المؤلف ترجمته للشيخ ابن عجيبة بعبارات التبجيل والتمجيد، مضفيا عليه حلل الفضائل والكرامات، ووصفه بأنه "الولي الصالح العلامة الناصح المشارك في سائر الفنون المختص من مولاه بعطاء غير ممنون، الشريف الأسعد الزاهد الأصعد مولانا أحمد بن سيدي محمد ابن عجيبة التطواني، صاحب التآليف العديدة، والفضائل المديدة مربي السالكين، ومنجي الهالكين، الواصل الموصل الحاصل المحصل" ص:3. وقد ضمن ترجمته هذه ما أورده العلامة سيدي عبد القادر الكوهن في فهرسته عند ترجمته للشيخ ابن عجيبة وكذا ترجمة الفقيه السكيرج لابن عجيبة في كتابه "نزهة الإخوان" ثم أورد الرهوني تلخيصا لما جاء في فهرسة ابن عجيبة من فصول مع ذكر أسماء أولاده وأحفاده ممن اتصفوا بالعلم والزهد والورع والسير على الطريقة، وكذا تاريخ وفاة بعضهم.

4. إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد:

للعلامة سيدي عبد القادر الكوهن. خص العلامة الكوهن الشيخ ابن عجيبة بترجمة واسعة افتتحها بقوله: "الفقيه الأرشد العلامة الأسعد العارف بالله أبي العباس سيدي أحمد بن محمد ابن عجيبة الأنجزي الحسني. عقد الجواهر..."مخطوط ص:3332.

وقام بسرد أسماء بعض مؤلفاته العديدة في علمي الظاهر والباطن والتي منها: تفسير الكتاب العزيز جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل باطن، ومنها شرح الحكم والمشيشية، ومنها حاشية على الجامع الصغير، وشرح على المباحث الأصلية، والزروقية، وحزب الشاذلي والبردة والهمزية، وغير ذلك مما ينيف على ثلاثين تأليفا جلها في علم التصوف كما ذكر كلاما للشيخ ابن عجيبة عند شرحه للحكم العطائية.

5 تاريخ تطوان، للأستاذ محمد داود:

تكتسي ترجمة ذ. داود للشيخ أحمد ابن عجيبة في كتابه عن تاريخ تطوان أهمية كبرى، ذلك أن الكتاب المذكور يعد من بين المراجع التاريخية والمصادر الأساسية لتاريخ المدنية، ومن هنا كانت ترجمة ابن عجيبة ضمن رجالات المدينة وعلمائها في القرن الثالث عشر على درجة كبيرة من الأهمية، خاصة وأن مؤلف الكتاب قد خصه بترجمة واسعة ومفصلة لجميع أطوار حياته، اعتمد فيها على ما جاء في فهرسة ابن عجيبة نفسه.

افتتح ذ. داود الترجمة المذكورة بقوله ووصفه للشيخ ابن عجيبة بأنه: "هو الفقيه الصالح العلامة المدرس المؤلف، الشيخ المربي أبو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة، كان رحمه الله مثال الجد والاجتهاد والنشاط في ميدان العلم والعمل والإخلاص".

وبتتبعنا لما ورد في الترجمة نلاحظ أن مؤلفها وكاتبها قد رتبها على حسب مواد وفصول الفهرسة حيث تحدث عن مولد المترجم وعن طفولته، وحفظه للقرآن والمتون العلمية في صغره، ثم عن دراسته بتطوان وشيوخه فيها، وكذلك عن رحلته إلى فاس لقراءة العلم على شيوخها. كما ذكر عند الحديث عن أسانيده وإجازاته سنده في رواية الحديث عن الشيخ التاودي ابن سودة عن الشيخ محمد جسوس عن عمه الشيخ عبد السلام جسوس، عن الشيخ عبد القادر الفاسي بأسانيده، وهو يروي الفقه المالكي عن الشيخ محمد بن الحسن الجنوي، والشيخ عبد الكريم بن قريش، كلاهما عن الشيخ التاودي بن سودة، عن الشيخ محمد جسوس، عن الشيخ محمد المسناوي، عن الشيخ محمد بن الحاج، عن الشيخ عبد القادر الفاسي بأسانيده إلى الإمام مالك.

وقد أثبت المؤلف نص إجازة كل من الشيخ التاودي، والشيخ بنيس، والشيخ محمد بن علي الورزازي للشيخ ابن عجيبة نقلا لها من خطهم. وبعد عودة ابن عجيبة من رحلته العلمية إلى فاس، استقر بتطوان لتدريس مختلف العلوم بها، وقد عدد المؤلف أسماء المساجد والزوايا التي درس بها وهي سبعة: جامع القصبة، جامع الجعيدي (يعني به جامع العيون)، مسجد الفوقية، وزوايا: سيدي السعيدي، وسيدي ابن ناصر، وسيدي ابن مرزوق، وسيدي حنصال.

وعن هذه المرحلة يقول المؤلف: "ومن الطبيعي أن تكون العلوم والكتب التي كان يدرسها مع طلبة العلم بتطوان. قبل انغماسه في بحر التصوف. هي نفس العلوم والكتب التي قرأها على شيوخه بتطوان وفاس وغيرهما".

أما عن تآليفه فإن المترجم نفسه ذكر في فهرسته تآليفه كلها، والتي من أهمها: تفسير البحر المديد، وكتاب أزهار البستان. ومن تمام الفائدة للتاريخ . يقول المؤلف . :"أن أذكر هنا أن النسخة التي وقفت عليها من هذا التفسير . يعني البحر المديد . بخط الفقيه السيد عبد الغفور بن التهامي البناي التطواني، وقد فرغ من كتابتها عام 1246هـ للفقيه العالم الشريف سيدي الطيب بن عبد السلام البقال التطواني"أما كتاب "أزهار البستان" فإن مؤلفه قد ترجم فيه لمشاهير الفقهاء والنحويين واللغويين والبيانيين والقراء والمفسرين... كما ترجم لعدد من العلماء المتأخرين إلى عصر ابن عجيبة، وكان بعضهم ما يزال على قيد الحياة زمن تأليف الكتاب.

الشيخ ابن عجيبة من خلال مترجميه: جرد وصفي تحليلي لمصادر ترجمته:

كتاب صدر

صدر عن المجلس العلمي بتطوان نشرة بتاريخ 2003/12/3 تعرف بأنشطته المختلفة حيث اثبتت نصوص كلمات لجماعة من العلماء في مناسبات مختلفة وبرامج المحاضرات والندوات واللقاءات التي أجريت في دائرة نفوذ المجلس.

الإرث بالرحم

■ إعداد الأستاذين: الطاهر زنيبر و عبد السلام البكاري

أولا: تعريف ذوي الأرحام

ذوو الأرحام هم الذين ليس لهم فرض مقدر بالكتاب أو السنة أو الاجماع مثل ما هو مقدر لذوي الفروض.

كما أنهم ليسوا من العصبة الذين يأخذون ما فضل عن ذوي الفروض أو يأخذون كل التركة إذا لم يكن هناك ذوو الفروض.

ثانيا: الخلاف في توريث ذوي الأرحام

وقد اختلف في توريث ذوي الأرحام:

فذهب الشافعي ومالك إلى عدم توريثهم نقلا عن زيد ابن ثابت وابن عباس.

فإذا توفي شخص ولم يكن عنده وارث سواء من ذوي الفروض أو من العصبة فإن تركته تنقل إلى بيت المال ولو كان عنده من يرثه من ذوي الأرحام.

وذهب الحنفية والحنابلة إلى نقل تركة هذا المتوفى إلى ذوي الأرحام بدلا من نقلها إلى بيت المال.

وبناء على هذا الخلاف فبعض البلاد الإسلامية تورث ذوي الأرحام كمصر اقتداء بمذهب الحنفية والحنابلة، وبعض البلاد الإسلامية الأخرى كالمغرب لاتورث ذوي الأرحام وتنقل التركة إلى بيت المال اقتداء بمذهب المالكية والشافعية وهو ماذهبت عليه مدونة الأحوال الشخصية المغربية.

وأكثر من ذلك أن هذا الحق الذي كان لبيت المال قد تنازل عنه برده على ذوي الفروض طبقا لظهير شريف بتاريخ 29 اكتوبر 1962

مؤشرات الترجيح لتوريث ذوي الأرحام

الذي يظهر أن توريث ذوي الأرحام أرجح سواء من جهة النقل أو من جهة العقل:

فمن جهة النقل قال تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) والعموم هنا في الآية يفيد أن الأقارب أولى بأقاربهم. الأحزاب4

وقال تعالى:(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر)النساء الآية:7، وقد نصت الآية على الأقربين تأكيدا على حقهم في التوريث.

ومن السنة هناك عدة أحاديث منها:

أن رسول الله (ﷺ) أعطى ميراث ثابت بن الدحداح لابن أخته أبي لبابة ابن المنذر وبما خرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب عن عبيدة أن رسول الله (ﷺ) قال: "الله ورسوله مولى من لامولى له والخال وارث من لاوارث له".

وذهب جمهور الفقهاء المتأخرين من المالكية والشافعية إلى توريث ذوي الأرحام بدلا من الرد على بيت المال حيث أصبح غير قابل للرد عليه للتغييرات التي لحقت نظامه.

ومن جهة العقل:

1. أن ذوي الأرحام أولى من بيت المال نظرا لكون هذا الأخير يقترب من الهالك من جهة واحدة هي جهة قرابة الإسلام أما ذوو الأرحام فيقتربون من الهالك من جهتين، جهة قرابة الإسلام وجهة قرابة النسب بالرحم.

2. أن عنصر القرابة وتبادل النفع بين من تربطهم صلة الرحم يعمل به بالنسبة للبعض ويحرم منه بعض آخر بالرغم من مساواتهما في القرابة كالعمة مع العم وبنت الأخت مع ابن الأخ وبنت البنت مع بنت الابن.

ولهذا يجب تعمم العمل بهذا العنصر بين جميع ذوي الأرحام.

أن مدونة الأحوال الشخصية قد عملت بالوصية الواجبة بالنسبة لأبناء الإبن دون أبناء البنت بالرغم من صلة القرابة التي تربط بينهم جميعا.

ولا فرق بين النوع الأول إلا كونه من أبناء الظهور والثاني من أبناء البطون، وهي تفرقة يجب أن لايعمل بها وفعلا نجد بعض البلدان الإسلامية لا تعمل بها كما هو الشأن في مصر.

4. لما كان من حق الأبوين الإرث في بنتهما المتوفاة قبلهما فلماذا لايكون من حق أبناء هذه البنت الإرث في جدهما أو جدتهما تنزيلا منزلة أمهم وتحقيقا لمبدأ المعادلة والتوازن في التمتع بالحقوق بين الجانبين؟

5. إذا كان المغرب بمقتضى الظهير الشريف بتاريخ 29 أكتوبر 1962 قد أقر الرد على ذوي الفروض فقد كان من باب الملاءمة أن يورث ذوي الأرحام كما هو الشأن في البلدان الإسلامية التي أقرت الرد أيضا كما هو في مصر.

6. إذا كان من أسس الإرث في الإسلام هو تعميمه على أكثر عدد ممكن من الورثة حتى لايقع تراكم المال في يد واحدة أو في طبقة واحدة كما هو الشأن في الرد على ذوي الفروض فلماذا لايعمل بتعميم هذا الأساس؟

7. وتمشيا مع روح التوحيد في التشريع الإسلامي كان من الواجب التوحيد في ميدان توريث ذوي الأرحام كما هو الشأن في مصر.

من هذه المعطيات يكون المغرب مدعوا إلى إعادة النظر في منع ذوي الأرحام من حقهم في التوريث خصوصا وأن منهم من يكون في حاجة إلى هذا التوريث أكثر من حاجة ذوي الفروض.

ومن بينهم بعض بنات البنت اللواتي يتعرضن إلى ترميل أو إلى طلاق وتكون أمهن قد ماتت في حياة أبيها أو أمها.

ثالثا: أصناف ذوي الأرحام

الصنف الأول ينسب إلى النبوة وهم:

1. أولاد البنات وإن نزلوا ذكورا وإناثا كابن البنت وبنت البنت.

2. أولاد بنات الإبن وإن نزلوا ذكورا وإناثا كابن بنت الابن.

الصنف الثاني ينسب إلى الأبوة:

1. الجد غير الصحيح وإن علا كأب أم الهالك وأب أب أم الهالك.

2. الجدة غير الصحيحة وإن علت كأم أب أم الهالك وأم أم أب أم الهالك.

الصنف الثالث ينسب إلى الإخوة وهم:

1. أولاد الأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم ذكورا وإناثا.

2. بنات الإخوة الأشقاء أو لأب أو لأم وبنات أبنائهم وإن نزلوا.

3. أبناء الإخوة لأم وإن نزلوا مثل ابن الأخ لأم.

الصنف الرابع ينسب إلى الأعمام والعمات وهم:

1. عمات الميت مطلقا أشقاء أو لأب أو لأم.

2. أخوال الميت وخالاته.

3. أولاد العمات والأخوال والخالات وأولاد الأعمام لأم وإن نزلوا.

رابعا: طريقة توريث ذوي الأرحام

اختلف في طريقة توريث ذوي الرحام وفي ترتيبهم وينبغي الأخذ بطريقة التوريث بالقرابة ويرتبون ترتيب العصبة بالنفس.

فيقدم فروع الميت من غير أصحاب الفروض والعصبات كأولاد البنات وإن نزلوا.

ثم أصول الميت كالجد والجدة غير الصحيحين وإن علوا.

ثم فروع أبويه كأولاد الأخوات مطلقا أشقاء أو لأب أو لأم ثم بنات الإخوة وهكذا.

◆ انظر في الجديد في علم الفرائض

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

شعار الصهيانية: التعنت وتجاهل الشرعية الدولية

يستمر الصهاينة في بناء الجدار العنصري البغيض الذي يهدفون من ورائه اقتطاع مساحات شاسعة من أرض فلسطين، وهم في الوقت نفسه ماضون في قتل الأطفال والنساء وتجريف الحقول وأشجار الزيتون، وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء الجدار ، ورفعت توصيتها بشأنه إلى محكمة العدل الدولية بلاهاي ، ومع ذلك فلا يزال التعنت شعار شارون وتجاهل الشرعية الدولية أحب من أحب وكره من كره غير عابئ بالأسرة الدولية كلها مصرا على أنه يسير على الطريق الصح.

إن الجرائم التي يرتكبها الصهاينة في حق الشعب الفلسطيني الأعزل لا تقارن بما ارتكبه هولاكوا، في حق العرب والمسلمين، ولم يكتف الصهاينة أنهم اغتصبوا بالقوة أرضا ليست لهم ، وإنما يقومون بإبادة شعب بكامله اقتداء بما فعله النازحون من أوروبا إلى أمريكا ، وشروعهم في إبادة خمسة وتسعين مليون من الهنود الحمر السكان الأصليين في تلك البلاد.

إن التاريخ لن يرحم، أبدا، ما فعله وعد بلفور الأنجليزي في حق فلسطين من جرائم، وعلى رأسها هذا الوعد المشؤوم فأوصى بإيجاد كيان إسرائيل في الأراضي العربية وتمكينها من السيطرة على المقدسات في القدس الشريف ، والتخطيط لجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل وتشريد أهل الأرض وطردهم من وطنهم وإحضار غيرهم من أنحاء الدنيا ليحلوا محلهم في حين يقرر الواقع التاريخي ولا ينكره أحد ولايختلف عليه اثنان أن الكنعانيين هم أول من سكن فلسطين، وقبل أن يولد إبراهيم عليه السلام ، والمسلمون والعرب أولى بإبراهيم من غيرهم، يقول القرآن الكريم« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، سورة آل عمران.

ومن الشهادات الدامغة في هذا الموضوع ما أكده الكاتب الأمريكي اليهودي ، موشيه نيومين، في كتابه انحلال اليهودية في عصرنا: منذ أكثر من أربعة آلاف سنة كما تروي قصص التوراة عاش الكنعانيون في فلسطين وأن عرب فلسطين الذين يعيشون الآن كلاجئين مشردين في الخيام والأكواخ في معسكرات خارج وطنهم هم من نسل هؤلاء الكنعانيين القدامى الذين كانوا مزيجا من الساميين والآريين والحبشيين ، وحين خرج محمد صلى الله عليه وسلم من الجزيرة العربية ليفتح العالم ويحول الجميع إلى مسلمين، اعتنق أغلب سكان فلسطين الإسلام وشكلوا منذ بداية القرن السابع الميلادي شعبا عربيا واحدا، ولهذا نرى. اليوم. عرب فلسطين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان،

أما ما يحدث به الصهاينة عن العهد الإلهي فمن الثابت في أسفار بني إسرائيل ، أنه عندما رجع النبي موسى. عليه السلام . ليجد قومه عاكفين على عجل من الذهب اشتد غضبه وحطم الألواح وتخلى عن قيادة الأسباط الإسرائيلية ، وكلف يوشع بقيادتهم، ولم يعبر معهم نهر الأردن ولم يدخل فلسطين وصاح صيحته الشهيرة: لقد عتت إسرائيل عن أمر ربها فلتكن مبعثرة في رياح السماء الأربعة، أي الجهات الأربع، ولذلك ينفرد النبي موسى عن بقية بني إسرائيل باعتباره ليس بعبراني، أي أنه الوحيد الذي لم يعبر نهر الأردن مع الذين عبروه من بني إسرائيل بقيادة يوشع.

إن الصهيونية ماضية في محاولاتها الخطيرة في إفراغ مدينة القدس من سكانها، وتدمير دورهم وهي لا تعبأ إطلاقا بقرارات مجلس الأمن ولا بتوصيات الأمم المتحدة، بل هي مستمرة في خطتها العدوانية على الشعب الفلسطيني بكل الوسائل بما فيها العنف والمال وقتل النساء والأطفال محاولة، في نفس الوقت، إقناع العالم الغربي بأن الفلسطنيين إرهابيون.

المجرات

- الحلقة الرابعة -

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

المسافات الكونية:

ماذا ينبغي أن يراعى في احتساب المسافات الكونية؟

لكي يتسنى قياس المسافات الفضائية التي تفصل الأجرام السماوية عن بعضها البعض بما يقارب الدقة العلمية المطلوبة ، ينبغي أن يراعى في الحساب الفلكي عملية الاتساع الكوني التي ابتدات منذ عهد الانفجار العظيم ، أي منذ 15 مليار سنة تقريبا والتي لازالت تواصل سعيها الحثيث والذائب نحو المزيد من الشساعة والتمدد اللانهائي لأنه بدون احتساب نسبة ذلك الاتساع المتواصل مضاعفا إلى قياس المسافات التي تفصل بين نجم ونجم فلن نصل إلى كبد الحقيقة الذي يمثل الأبعاد الحقيقية والدقيقة للأجرام التي ستظل دائما وأبدا على منأى مسافات ساحقة تفوق باستمرار ما وصلت إليه الحسابات الفلكية مما يعني بالتالي عدم التطابق المنشود وربما كان هذا هو السبب الوجيه الذي أدى بعلماء الفلك إلى التفكير في إيجاد وحدة قياس جديدة هي " زمن العودة إلى الوراء " والذي سنتولى استعراضه فيما يلي:

استعمال وحدة قياس جديد أو ما يسمى ب " زمن العودة إلى الوراء " :

يحدثنا الأستاذ سيرج برونيه عن هذا القياس الجديد فيقول (... عندما يتحدث علماء الفلك عن جرم يوجد على مسافة كوسمولوجية، فإنهم لايعنون بذلك مطلقا مسافته المكانية الموضحة بمليارات السنوات الضوئية ، بل بالأحرى مسافته الزمانية ، الموضحة بمليارات السنوات (يقولون:" استغرق ضوءه " س" مليار سنة حتى وصل إلينا أو نراه مثلما كان منذ " س" مليار سنة وغالبا ما نراهم يفضلون استعمال وحدة قياس جديدة هي " زمن العودة إلى الوراء " (Temps de regard en arrière) . وفي حالة الكوازار SDSSJ 1044-0125فإن ذلك الزمن هو 90٪ وبعبارة واضحة فإن الصورة التي نلتقطها عن الكوازار تجعلنا نعود إلى الوراء بمعدل 90٪ من الزمن المنقضي منذ الإنفجار الأعظم، ونرى الكوازار البعيد مثلما كان عندما كان الكون بعمر 10٪ من عمره الحالي.

(المصدر : مجلة الثقافة العالمة العدد 119).

الشمس:

في هذا الفضاء الفسيح الذي يمتد على مسافات شاسعة يتم احتسابها بملايير السنوات الضوئية تقع مجرة الطريق اللبني (La Ga-laxie de la voie lactée) في مستوى متوسط من الكون ، وفي أحضان هذه المجرة اللبنية التي يبلغ عرضها مائة الف سنة ضوئية تطل الشمس على عالم الأرض هذه الشمس التي تبدو بالنسبة لشساعة الكون الهائلة مثل حبة رمل ضائعة في محيط كبير في حين تبدو مجموعة الكواكب السيارة التي ترافقها اقل أهمية بكثير.

يقول العالم (جون ريبلوسكي في كتابه : لتشرق الشمس) (que le soleil soit) بيد اننا إذا عدنا ونظرنا إلى الشمس على أساس مقياس الإنسان فإن رؤيتنا للشمس ومجموعتها يبدو شيئا مذهلا ، فالشمس تشغل في الفضاء حيزا مهما . كما أنها تبعد عن الأرض بمسافة تبلغ 149.540.000كلم.

صورة مصغرة للمجموعة الشمسية كما تخيلها العالم الفلكي جون ريبلوسكي:

لقد تخيل هذا العالم الفلكي نموذجا مصغرا للمجموعة الشمسية يقل عن حجمها الحقيقي بنحو خمسة ملايير مرة واستطاع بهذا المقياس الجديد أن يصل إلى الاستنتاجات التالية:

تخيل بأن الشمس اصبحت على شكل كرة بالون يبلغ قطره ثلاثون سنتيمترا.

عطارد الذي هو أقرب إلى الشمس أصبح بدوره على شكل حبة رمل وعلى بعد 12 مترا من البالون لا غير.

تحول حجم الزهرة إلى حبة رمل لكن أكبر مرتين من حجم المريخ وعلى بعد 24 مترا.

أما الأرض فأصبح حجمها الجديد لا يزيد عن حجم رأس الإبرة بالنسبة لحجم البالون الذي يبلغ قطره 30 سنتيمترا والذي يمثل الشمس (تصوروا نسبة المقارنة! !) .

أصبحت الأرض بدورها تبعد عن الشمس مسافة ثلاثة وثلاثون مترا.

المريخ ؟ يبعد مسافة 48 مترا.

المشتري : يبعد ب 162 مترا.

زحل : يبعد 306 مترا.

نبتون : يبعد بحوالي كيلومتر

بلوتو : على بعد كيلومتر ونصف.

أما سبب لجوء هذا العالم الفلكي إلى استعمال الخيال العلمي في هذه المسألة فلكي يعطينا فكرة واضحة عن حجم الشمس ومجموعة الكواكب السيارة التابعة لها بالنسبة للأرض (المصدر: كتاب ل : جون ريبلوسكي يحمل عنوان que le soleil soit) الصفحة 17.

وقد تابع العالم الفلكي حديثه بعد ذلك ليعطينا فكرة أخرى على أبعاد النجوم والمجرات حيث قال:

وعلى أساس هذا المقياس الذي ذكرناه فإن أقرب نجم من هذا النموذج المصغر من المجموعة الشمسية يكون موقعه على بعد ستة الاف كيلومتر أما المجرة المجاورة لنا فعلى بعد ملايين ونصف كيلومتر.

الشمس من منظار علمي.

يقول الدكتور عدنان الشريف في كتابه الذي يحمل عنوان (من علم الفلك القرآني) في الصفحة 75 وما يليها :(الشمس نجم عادي يقع في ثلث الخارجي لشعاع قرص المجرة اللبنية، وهي تجري بسرعة 230 مليون كلم في الثانية حول المجرة اللبنية الذي تبعد عن ثلاثين ألف سنة ضوئية ساحبة معها الكواكب السيارة التي تتبعها بحيث تكمل دورة كاملة حول مجرتها كل مائتين وخمسين مليون سنة، فمنذ ولادتها التي ترجع إلى 4,6 مليار سنة أكملت الشمس وما تبعها 18 دورة حول المجرة اللبنية التي تجري بدورها نحو التجمع المحلي للمجرات ، والتجمع المحلي يجري نحو تجمع أكبر هو كدس المجرات وكدس المجرات يجري نحو تجمع أكبر هوكدس المجرات العملاق . فكل جرم في الكون يجري ويدور يجذب ويجذب...) وتابع الدكتور الشريف حديثه شارحا للاية الكريمة :(والشمس تجري لمستقرها) مستقر الشمس هو أجلها المسمى والمقدر لها من العزيز العليم اي وقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ هذا المعني لمستقر الشمس تستنتجه من الأية الكريمة التالية التي تشرح معنى مستقر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ...) (الرعد 2) وقد تكررت هذه الآية الكريمة ست مرات في كتاب الله ربما لنتوقف عند الإعجاز العلمي الكامن فيها . فحتى القرن التاسع عشر، كانت المعلومات الفلكية تقول بأزلية النجوم ، أما تقدير العزيز العليم فهو أن للشمس أجلا مسمى ككل المخلوقات. ولم يكشف علم الفلك إلا في القرن العشرين عن أن النجوم تولد وتنمو وتكبر وتهرم وتموت.. وقد أشار القرآن الكريم إلى موت الشمس بالتحديد في قوله تعالى: (إذا الشمس كورت (التكوير 1) فتكوير الشمس يعني موتها من قوله » والنجم إذا هوى) سورة النجم الأية :1 .« وإذا النجوم طمست ، سورة المرسلات الأية8 وفي المعجم العربي نجد إذا . كورت الشمس تحمل معنى جمع ضوءها ولف ، واضمحلت ، وذهبت ، ودهورت ونزع ضوءها ، وغورت ولأن موت الشمس حدث فلكي ذو أهمية كبيرة سمى المولى سورة من كتابه الكريم بالتكوير، ويقدر علماء الفلك بأن عمر الشمس الحالي هو أربعة مليارات سنة ونيف . ويبقى فيها من الطاقة ما يمكنها من أن تضيء لمدة ستة مليارات سنة أخرى، وبعد ذلك تكون قد استنفدت وقودها فتدخل في فئة النجوم الأقزام ثم تموت وبموتها تنعدم إمكانية الحياة في كوكب الأرض.

روح خطبة الجمعة في النصوص التي تتخللها ومقدمة ومدخل تمهيدي

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الدكتور: محمد حمان

■ فالحديث عن الخطبة يعد حديثا في صميم التشريع الإسلامي الذي جاء به كتاب الله جل جلاله، لأن حضور صلاة الجمعة والاستماع للخطبتين اللتين يلقيهما الإمام على مسامع الحاضرين من أوجب الواجبات في الإسلام، وذلك أمر تستفيده من قول ربنا سبحانه: "يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون..." كما أن وجوب الاستماع إلى مايلقيه الخطيب على المصلين من وعظ وإرشاد وتوجيه نستخلصه من قول الحق جلال علاه: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون"

وهكذا نرى أن القرآن الكريم هو المنبع الأول والأساسي للشريعة الإسلامية، وأنه المهيمن على كل ما هو معدود من مصادر التشريع الإسلامي، سواء منها ما كان من المتفق عليه بين علماء وفقهاء الشريعة الإسلامية، أو ما كان قد وقع فيه نوع من الاختلاف الذي يكون في كثير من الأحيان اختلافا شكليا لايمس الجوهر.

لهذا يفرض أن يكون منطلق خطيب الجمعة من نصوص الكتاب العزيز، ومعززا بنصوص السنة المطهرة، وحتى يكون هذا المنطلق قائما على أساس صحيح ينبغي أن يتولى الخطبة من يتوفر على نصيب من العلم بقواعد التشريع الإسلامي لأن الاستشهاد بالنصوص القرآنية أو الحديثية يتطلب نوعا من المهارة في فهم نصوص الكتاب العزيز والحديث الشريف، وهكذا يتحتم على الخطيب أن يكون على إلمام كبير بقواعد التفسير ومصطلح المحدثين، فما يصلح من النصوص للاستشهاد في مكان قد لايصلح للاستشهاد في مكان آخر، فالقرآن يفسر بعضه بعضا، وتفسره السنة الشريفة، قولية كانت أو فعلية أو تقريرية، إذ هذه المهمة أسندها الإلاه جل علاه لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام في كتابه العزيز، حيث قال عز من قائل:"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للنساء مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون" ويستعان كذلك على تفسير نصوص كتاب الله بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم عاشوا الأحداث والوقائع التي كان ينزل بسببها العديد من النصوص القرآنية، وبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استغلق عليهم واحتاجوا إلى بيانه، كما أنه بالإمكان الاستفادة من آراء التابعين في هذا المجال، لكونهم تلقوا معارفهم التفسيرية من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم، ولابد كذلك من معرفة أسباب ورود الحديث.

ومادام القرآن قد نزل باللغة العربية الفصحى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان حديثه بلسان عربي فصيح، فإن فهم كل من الأسلوب القرآني والحديثي يحتاج إلى نوع من المهارة في هذه اللغة، وبالتالي يصبح من الضروري لخطيب الجمعة أن يكون متمرسا بأساليب اللغة العربية، وعلى علم واسع بخصائصها المميزة لها عن غيرها، سواء تعلق الأمر بالحقيقة أو المجاز، فربنا سبحانه يقول: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا"

وفي مقدمة العلوم التي يحتاج إليها الخطيب، وهو يستشهد بنصوص القرآن أو الحديث ويفسرها أحيانا، علم أصول الفقه، فلابد له من هذا العلم حتى يعرف مثلا متى يكون الأمر للوجوب، ومتى يحمل على غير ذلك، ومتى ينصرف النهي للتحريم ومتى يقصد به مجرد الكراهة التنزيهية، إلى غير ذلك من المجالات التي يهتم بها هذا العلم الجليل كتخصيص العموم وتقييد المطلق.

ولهذا لا معنى لأن يطلق خطيب الجمعة الكلام على عواهنه، فلكل مقام مقال، كما يقال، فعليه أن يختار الاستشهاد المناسب، وأن يضعه في المكان المناسب، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، مراعيا لجميع مستوياتهم العقلية، ومستفيدا من قوله سبحانه: "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، ولاتستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"

وهنا تأتي الاشكالية الكبرى بالنسبة للخطيب، فهو يخاطب عقولا مختلفة وأصنافا عديدة من الناس، لهذا يكون لزاما عليه أن يضع كل هذه الأمور في حسبانه، وأن يجعل جميع الحاضرين معه يستفيدون من خطبته، وأن يستعمل من أساليب اللغة العربية ماهو مفيد للجميع، فلا يعلو في خطبته حتى يترك عامة الناس حيارى فيما يقول، وبالتالي يزهدون في وعظه وإرشاده، وينامون أو يذهب بهم تفكيرهم إلى أشياء تبعدهم كل البعد عما جاءوا إليه من الفائدة المرجوة والمطلوبة والمعينة لهم في دنياهم وأخراهم.

ولاينزل في خطابه إلى المستوى المنحط الذي يجعل خواص الناس يملون خطابه، ويتضايقون من موعظته، وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه المبين : "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"

والأهم من كل ماسبق هو أن تكون جميع أقول الخطيب مطابقة لأفعاله وسلوكه العام في محيطه الاجتماعي، إذ لا تأثير لمن كانت أقواله مخالفة لأفعاله وسيرته العامة بين أفراد مجتمعه، فعليه أن يكون متواضعا ومتعاطفا مع جميع الفئات الاجتماعية، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وأن يعامل كل الناس المعاملة الطيبة، وأن يشعر كل الطوائف بأنه منهم وإليهم، حتى يكون فعلا مقتديا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يقول الخالق سبحانه في حقه ممتنا عليه: "فبمارحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين".

بحث حول تدريس القرءان الكريم

■ إعداد الأستاذ : أعمون مولاي البشير

- الحلقة الأخيرة-

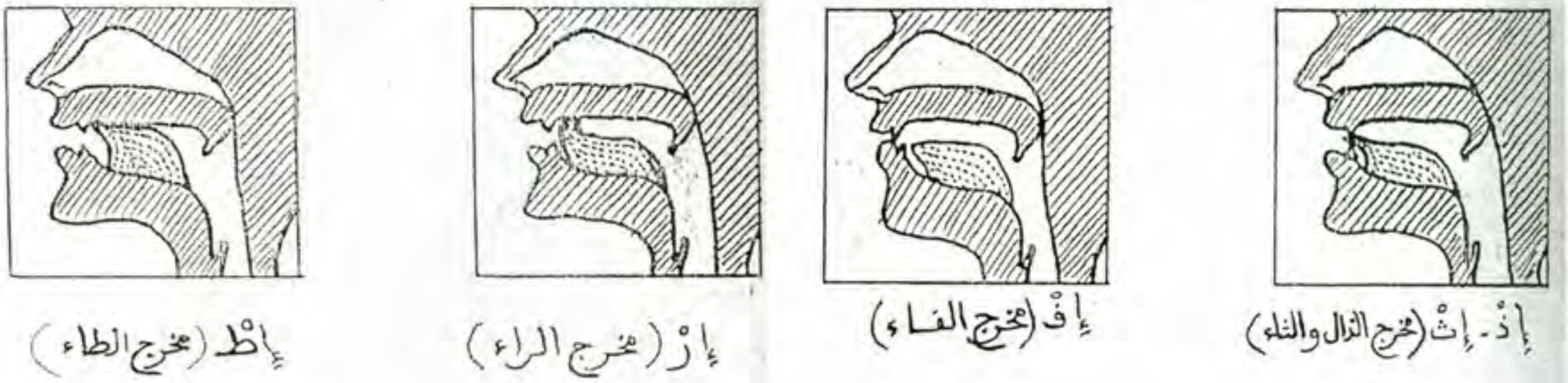

ترسم حركة همزة الوصل في المصاحف المغربية نقطة تكبر نقطة الحرف العادي ، فإن كانت همزة الوصل محركة بالفتح وُضعت النقطة فوق الألف هكذا (ا) وإن كانت محركة بالكسروضعت تحت الألف هكذا (ا) وإن كانت محركه بالضم وضعت وسط الألف هكذا (ا) أمثلة ذلك:

شيئا ا تْخذها تقرأ هكذا شيء ن اتْخذها
عليمٌ اعلموا " " عليمٌ ن اعْلموا
محظوراً انظر " " محْظورٌن انظرْ
أحدًا للهُ " " أحدٌن اللهُ
نستعينُ اهدنا " " نستعينُ اهدنا
ثم اسْتوى " " ثمْ اسْتوى
خلقَ السّموات " " خلقَ السّموات

بعض أحكام اللام

الأصل في اللام الترقيق لأنه من حروف الاستفال وهو ضدالاستعلاء ومخرجه من حافة اللسان . ويجب إبقاؤه على أصله وهو الترقيق ، وإمالته إذا توفر شرطها. وتغليظه في اسم الجلالة عند جميع القراء واللغويين إذا كان مسبوقا بضمة أو فتحة مثل: الله أكبر، لا إله إلا الله، على الله ، هو الله، نصر الله ، ذكر الله ، قام عبد الله.

أما إذا وقع اسم الجلالة بعد الكسر فإنه يرقق نحو بسم الله قل الله بالله من دون الله لله ويغلّظ اللام إذا كان مفتوحا في حالة الوصل وأن يكون بعد الصاد أو الطاء أو الظاء مثال فَصَلّ . أن يوصل الصلاة . مفصّلاً بطلّ . المطلقات، حتى مطلع . ظلّم، أظلم . يظلمون . وقس عليه أمثالها واشباهها .

المزيد

في المصحف الكريم ألفات ، وواوات ، وياءات مزيدة في الخط ملغاة في النطق لاتقرأ لا وصلا ولا وقفا أمثلة الزوائد:

مائة ، تأيْئسوا . يا يْئسُ لا اذبحنّه . ملأنه لشاء إني. امْرؤٌا . علّمتؤا تفتؤا وقس أمثلتها.

أولوا. أولئك . من تلقاء نبّاء، وإيتاء، وراء حجاب، أحي تحْي يستحْي وليي نكير . إلى آخرها

الخاتمة

تلك هي بعض مبادئ علم التجويد التي لا يستغني عنها أي مدرس لمادة القرآن الكريم؛ بعض المبادئ فقط لأن علم التجويد بحر زاهر لا يستوعبه إلا التفرغ الكامل لدراسته وقرائته ، فهو ككل فن من فنون العلم ذو مؤلفات كثيرة نظما ونثرا يدرسها أهل التخصص فيها ، وإنما هدفنا من هذا البحث المتواضع هو الحفاظ على لغة القرآن وتجويده ، وتبليغ ذلك إلى النشء غضا صحيحا سليما ، ثم معرفة كتاب الله والإلمام ببعض قواعد لغته وكتابته ، وأن يكون هذا البحث رهن إشارة كافة الإخوان : المعلمين والمعلمات قصد استنساخه وتوزيعه ونشره بالمجان هديتة لمن هم في أمس الحاجة إليه، والله لايضيع أجر المحسنين .

الموضوعة الدينية في الخطاب الشعري / بين سنة 1757.1894

تفاعل الديني والاجتماعي والسياسي في الخطاب الشعري

■ د. عبد السلام الطاهري

- الحلقة الأخيرة-

■ وإذا كان بإمكاننا أن نعطي صورة التعبير عن العلاقة بين الموضوع الرئيسي والموضوعات الأخرى من خلال مبدأ الجاذبية إلى المركز ، فإننا نبادر إلى القول أن الموضوعة الدينية في هذه المرحلة هي الموضوع الذي يجذب إليه كواكب الموضوعات الأخرى ، والتعبير بالخطاب الديني عن القضية السياسية والاجتماعية والدينية ، هي الوجه الأشد بروزا في هذه المرحلة ، وهذا ما يشكل خيط وصل بين ماهو: جهادي ومولدي وولوي، كما أن هذا الخيط هو ما يميز الخطاب الديني في الشعر المغربي ، ومن هنا كان الدين وحده عاملا قويا يشد جميع المغاربة إليه، كما كانت السياسة الدينية المخزنية تستغل هذا العامل أحسن استغلال، وتضفي عليه مظهرا من التقديس والدعوة إلى مزاولة الشعائر الدينية، وتطبيق الشريعة، بالإضافة إلى سيادة الفكر الصوفي الطرقي على عقلية المجتمع ووجدانه ، ومن هنا سادت النزعة الدينية في الحياة الاجتماعية والأدبية، لأن التصور العام للأدب في هذه الفترة عند العلماء والفقهاء والمثقفين يميل إلى اعتبار الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة ، وإن العالم الأديب أو الفقيه الأديب هو من استطاع الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، ومناحي بلاغتهم ، وحفظ الأشعار والأخبار وأخذ من كل علم بطرف ، وهذا هو الذي جعل أبا مدين الفاسي يقول:« إن الأدب كما قيل أربعة : أدب اللسان ، وأدب جنان ، وأدب زمان ، وأدب إيمان» ، فالأديب يرتبط بشكل وجداني بالعلم والفقه ، وبالعلوم التي تخدم الدين، كما أن الأدب في المنظور الصوفي :" هو تهذيب الظاهر والباطن، فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه ، صار أديبا، فلا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق " ، وربط الأدب بالأخلاق والفضيلة فرضتها وضعية ومكانة الفقيه الأديب في السلم الاجتماعي ، وحتمتها ثقافته الدينية ، لأنه كلما ارتقى إلى مستوى العالم أو الفقيه المتضلع كان ينعت بصفة من هذه الصفات: " اللوذعي" أو " الأريب " أو " اللبيب " أو العلامة" أو " الفهامة" أو " الدراكة" أو " المشارك" أو " النحرير" إلى غير ذلك من النعوت ، والملاحظ أن وظيفة الأدب تبعا للتصور السائد هي اعتباره وسيلة لخدمة الدين والشرع ، ووسيلة إلى كل فضيلة، لأن الثقافة العربية الإسلامية بكل مظاهرها قد امتدت بفعل الامتداد والتأثير إلى ذهنية الأدباء الفقهاء، فتمثلوها واستوعبوها جيدا ، بحيث صار موقف الفاعل الداخلي تجاه قوله الشعري موسوما بطريقة شخصية، تستمد زادها اللغوي وأشكالها التصورية من حقول دينية واجتماعية ، أي أنه يتصل بفاعل يتجلى فيه معبرا عن رأيه أو وجهة نظره، مشيرا إلى تجربة أو حدث متعلق بوطنه أو باقتناعه العقدي ، أو متصل بوقائع وأحداث وطنية ، أو معارف موضوعية يعيشها، وقد يتجلى ذلك من خلال مؤثرات الشخص والمكان والزمان ، وكيفيات القول الذي يحددها منتج القول الشعري ، مثل التأكد واليقين ، أو الشك والاحتمال التي تتصل بفعل القول ذاته ، وبموقف القائل مما يقوله ، لأننا نجد أن تصور الفاعل ، المنتج للخطاب الديني في الشعر تقترن به ملاحظة حضوره الديني سواء في الموضوعة المركزية أو الموضوعات المتفرعة عنها.

إذ الخطاب الشعري الذي أنتجه شاعر نهاية القرن 18 وخلال القرن 19 كان نتيجة تفاعل الديني والسياسي والاجتماعي والمقدس داخل مكان له خصوصيته الاجتماعية والدينية ، ومن خلال هذا التفاعل بني عالمه الشعري الموسوم بصفة " الدينية" ، وبنى كذلك ذاته الشاعرة بما يمده به الدين من سلطة التأثير والإقناع ، مما جعله أقرب إلى الوجدان الشعبي " لأنه يمثل ذلك الملاذ الذي يجد فيه الإنسان غايته من اتصال بالخالق الأعظم والعقيدة المتصلة بروحه ونفسه ، وحامل الرسالة صلى الله عليه وسلم ، وما يحظى به من مكانة في القلوب والأفئدة ، وكانت المحن التي تمر بها . (الأمة المغربية) حافزا قويا على اللجوء إلى ساحة الدين ، باعتباره قارب النجاة ومحرضا على استمرار الحياة والأمل في المستقبل ، ومواجهة عوامل اليأس والقنوط والهزيمة ، والضغوط الخارجية ، لأن الشعر الديني في المغرب ارتبط بواقع المجتمع المغربي ، وما أحاطت به من ظروف ، وما عاشه من اضطرابات ، واصطدام مع الآخر، وما تشبع به من ميل إلى عالم الروحانيات وتقديس الأولياء والصالحين، فكان الشعراء يستحضرون الخطاب الديني بكل حمولاته، ويوظفونه في النظم والقصيد ، حيث صار المعجم الإسلامي (الديني) بكل شحنته طاغيا في الذاكرة، وفي الكتابة الشعرية أيضا ، ورغم الاهتمامات التي كانت تشغل الأدباء المغاربة فإن اهتمامهم لم ينصرف قط عن القرآن والسنة ومجال الفقه ، والتصرف ، لذلك فإن جزءا كبيرا من هذا الأدب كان مفعما بالنفس الديني الصرف ، وهذا ما جعل " محمد الأخضر" يؤكد على أن« الثقافة الدينية كانت تتحكم في الثقافات الأخرى مهما كان نوعها ، حتى أن من أراد أن يصبح أديبا، كان عليه أن يصير أولا فقيها، بينما لم يكن يشترط في الفقيه أن يكون أديبا» ، وهذا النوع من التكوين الذي يتأسس أولا على العلوم الدينية ، ثم العلوم اللغوية والأدبية، يطبع ذاكرة الشاعر بمجموعة من المحفوظات لمتون غالبة فيها الديني والأدبي والتارخي ، التي تتخل في استحضارها وصياغتها دوافع داخلية كامنة في ذات الشاعر، ودوافع خارجية توقظ فيه غيرته الدينية منها:

. الواقع الثقافي والديني، والواقع السياسي ، والأزمة الاقتصادية والضغط الأجنبي ، وانتشار الطرق الصوفية .

والشاعر حين يمارس عملية الإبداع الشعري أو النظم تتحكم فيه الذاكرة الحافظة، بكل ما يحيط بها من ظروف وإكراهات ، فتستمد مرجعيتها وأدواتها التعبيرية من واقعها الثقافي والديني، وبذلك تظهر الصبغة الإسلامية على موضوعات الشاعر في مجال االجهاد والمولديات والولويات (شعر الجهاد، الشعر المولدي ، الشعر الولوي)، حيث تتجلى الثقافة القرآنية والدينية على مضامينها وأشكالها التعبيرية في قالب شعري أو نظمي ، وطبيعة هذا الخطاب الديني تختلف طبعا عما نجده في خطب الجمعة والأعياد الدينية والرسائل الوعظية وغيرها ، لأن هذا النوع من الكتابة الشعرية يستمد صياغتها وأسلوبه من المعجم الديني ، ولكن بكيفية متميزة في استعمال هذا المعجم ، وطريقة طرح الغرض المتحدث عنه ، والمقصدية منه، وهذه الأمور تعود إلى فاعلية الشاعر وإلى قدرته على الجمع بين " الموضوعة الدينية" والكتابة الشعرية ، وتوفير شروط القول الشعري ، لجعلها داخل حقل الكتابة الشعرية المتأثرة بالمرجعية الدينية، اعتمادا على ما يبني الشاعر بنية أشكالها التصورية واللغوية ، حتى يحقق بلاغة المتعة والتأثير ، والتي ينشدها منتج الخطاب الديني ، الناجم عن استعمال لغوي استعمالا خاصا، يمنح المتلقي لهذا الاستعمال الإحساس بروحانية ونشوة لغة محملة بإرثها وثقلها الديني والصوفي ، وبجاذبية عشقها وجدانيا وأدبيا (شعرا) ، وقد يتأكد القارء المتلقي أن الاستعمال الغفل للغة في هذا الخطاب لا يمكن العثور عليه ، لأن الشاعر يتصرف في المرسلة اللغوية من أجل شحن لغتها ، وصهر معانيها من جديد لخدمة " الموضوعة الدينية " في سياقها ودلالتها .

ومن المعتاد في الأدب بشكل عام، والشعر بصفة خاصة، استخدام " الشفرة" ، التي تعني تغييرا في الموقف، وتعني تماهيا مع الشخص المتلقي ، ومن ثم فإن إعادة صياغة القول الشعري المرسوم بالدينية، من جانب الذي يستخدم الخطاب غير المباشر، لايقتصر على تلخيصه وإيجاز محتواه ، بل قد يتمثل في تضمينه لبعض العبارات ذات المرجعية الدينية أو الأسماء ذات الحمولة الدينية والتاريخية وأهمية هذه الطريقة في الكتابة تكمن في أن الشاعر (منتج الخطاب) يدمج خطابا دينيا في خطابه الشعري ، بكل ثقله إلى موقفه القولي، فهو في هذه العملية يعيد الصياغة بشكل يتلاءم مع من مقصدية قوله الشعري، وبذلك يسعى إلى الإبقاء على بعض عناصر القول الأول (الخطاب الديني) من تعبيرات مميزة، وترجيعات وتكرار ، وروابط استدلالية وسببية ، وإشارات أخرى لغوية من قبيل الخطاب غير المباشر ، وهذا يتولد عن امتصاص هذا الخطاب ، وأدائه بطريقة غير حرفية، مما يتطلب تحويل أزمته الفعلية ، وتعديل ضمائره وإشاراته ، كي تتسق في اتجاهاتها وإحالاتها، الأمر الذي يجعله مختلفا عن الخطاب المباشر، إذ يقوم القائل / الشاعر هنا بإعادة صياغة الكلام (الخطاب) الذي ينقله متوخيا الدقة في نقله حينا ، أو إيجازه واقتطاع بعض أجزائه حينا آخر، إذ أن الاعتماد على الخطاب غير المباشر يعني أن الشاعر قد اختار استخدام لغته هو ، وإعادة صياغة خطاب غيره ، مما يتيح الفرصة لتمثيل موقفه الخاص عبر " الشفرة اللغوية" ، التي يستخدمها على مستوى التعبير الذي ينم عنها أكثر مما يدل على المحتوى المنقول، فالتعبيرات المميزة التي مصدرها ديني، يكون لها تأثير على وجدان المتلقي / المجتمع ، وقد تدفعه إلى المشاركة أو التضامن مع القائل / الشاعر، ولهذا فإن فاعل الخطاب الشعري المتأثر بالمرجعية الدينية ، يتدخل بشكل تلقائي في انتقاء أساليبه وعباراته واستشهاداته ، ويتحدث من خلالها عن تصوره وطموحه ورغباته وحبه، مما يكشف عن تراوح القول بين المنظور الخارجي، واتخاذموقف المنقول عنه ، أو تعضيده وتقويته، أو إضفاء المشروعية عليه، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى نوع من التداخل بين الفواعل (فاعل الخطاب غير المباشر، وفاعل الخطاب المباشر) وليس من اللازم أن يكون تعدد الأصوات في " الخطاب الديني في الشعر المغربي " ناجما عن تعدد الفواعل ، بل إلى أثر التداخل بين ماهو أرضي وما هو سماوي.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1048
السنة 36
الجمعة 2 ذو القعدة 1424 هـ
الموافق 26 دجنبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1048 الجمعة 2 ذو القعدة 1424 هـ . الموافق 26 دجنبر 2003م

التعليم العتيق ببادية الشمال من خلال الكتاتيب والمساجد والزوايا

■ إعداد الأستاذ: محمد كنون الحسني

- الحلقة الأخيرة-

1. العلامة سيدي أحمد بولعايش الشهير بمصباح الفقيه العالم الشهير بالتقوى والصلاح ولد في قرية بوعيش المشهورة في قبيلة أنجرة، وحفظ القرآن الكريم ومايتعلق به من ضبط وتجويد ثم تعاطى حفظ المتون العلمية وما يتعلق بها من شروح وحواشي على يد كبار علماء عصره بالبادية من أمثال العلامة الفقيه سيدي أحمد شتوان والعلامة الفقيه سيدي أحمد بن يرمق فلما ظهرت نجابته رحل إلى مدينة فاس فلازم دروس علمائها الأعيان حتى تفقه في علوم شتى ثم عاد إلى مسقط رأسه فعكف على تدريس العلم لأهل قريته، ومن قصده من طلبة القرى المجاورة، وكان يعيش من مزروعات اراضيه الفلاحية الموجودة بقصر المجاز ولم تتعلق نفسه بخطة ولامنصب، بل زهد في ذلك كله وانقطع للعلم والتعليم واشتهر بحسن التبليغ والتفسير فدرس القرآن الكريم وعلومه، والحديث وكتبه الصحيحة بالإضافة إلى الفقه بالمرشد المعين والرسالة وسيدي خليل والنحو بالجرومية والألفية ولامية الأفعال بما كتب عنهم من شروح وتعاليق.

2. العلامة سيدي محمد بن عبدالسلام بن عبد القادر بن العلامة المفسر سيدي أحمد بن عجيبة، ازداد بقرية الزميج بقبيلة أنجرة نواحي طنجة سنة 1321هـ. 1903م. تعلم على شيوخ قريته ثم انتقل إلى فاس حيث أخذ على ثلة من علمائها ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث تولى الخطابة والإمامة ثم عين بعد ذلك عضوا في المجلس الأعلى الخليفي بتطوان وأستاذا بالمعهد العالي، ثم قاضيا بمحكمة طنجة فعضوا بالمجلس العلمي بها. وحين أحيل على المعاش سنة 1971 انتقل إلى مسقط رأسه واتخذ من مسجد القرية مدرسة لتعليم الطلبة من مختلف جهات المغرب يطعمهم من بيته وما يساعده به أهل القرية والمحبين للعمل من سكان قبيلة أنجرة وغيرها، وكان يدرس طلبته بالإضافة إلى القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف بكتبه الصحاح وعلومه ومصطلحه، ابن عاشر ومختصر الشيخ خليل في الفقه والعبادات بشروحه وحواشيه، التحفة لابن عاصم والفرائض وعلم التوقيت، النحو بالجرومية والألفية بشروحها المختلفة، لامية الأفعال، البلاغة والمنطق والسيرة النبوية. وقد تخرج على يديه ثلة من العلماء والفقهاء تعج بهم مساجد القرى المجاورة.

3. العلامة سيدي محمد السعيدي الأنجري، عالم جليل وفقيه نبيل اشتهر بحفظ النصوص وسرعة البديهة في الفتوى فكان مقصودا لهذا الغرض من جهات شتى، ولد في قبيلة أنجرة ونشأ فيها وتعلم، فحفظ القرآن الكريم وتلقى دروس العلم الأولى عن رجال قبيلته وفقهائها ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن علمائها وخيرة أساتذتها حتى نبغ واشتهر ثم عاد إلى قبيلته فاشتغل بتدريس العلم للطلبة الذين قصدوه من قبائل كثيرة، وقد درس علوم اللغة والبيان واشتهر بإمامه وتفوقه في علمي الفقه وأصوله حتى قال عنه العلامة سيدي محمد كنون في كتابه: (مواكب النصر وكواكب العصر): "وقد ضاعت بوفاته ثروة طائلة من فتاويه في المهمات، التي لو جمعت لخرجت في عدة مجلدات".

4. العلامة الأمين بوزيد الانجري العالم الشهير بدقته وتفوقه في علوم كثيرة، ولد بقبيلة أنجرة ونشأ بها وتعلم، حيث حفظ القرآن الكريم ومتون العلم وبعض شروحها على علماء قبيلته وشيوخها، ثم انتقل إلى مدينة فاس فأخذ عن كبارعلمائها فلما حصل على مطلبوه عاد من رحلته واستقر بمدينة طنجة حيث تولى العدالة بسماطها وبرز في الإشهاد والفتوى إلا أنه زهد في ذلك كله وعاد إلى قبيلته وتجرد لنشر العلم بين قاصديه من الطلبة.

5. العلامة سيدي محمد بن محمد بن تاويت الودراسي الطنجي المعروف بالعلم والورع والتقوى والجهاد، حفظ القرآن بقريته وادراس ونهل العلوم من مساجدها ومن أفواه رجالها، ثم انتقل إلى فاس وجلس إلى علمائها حتى أصبح له قصب السبق في علوم كثيرة، فعاد (إلى قريته ومقر أسرته فاستغل بالإرشاد والتعليم على المنهج القويم، ولما زحفت جنود الاستعمار الإسباني على الناحية الجبلية وقامت حركة الجهاد بالقبائل لرد العدوان انضم إليها وكان ممن أبلى فيها البلاء الحسن).

6. العلامة سيدي أحمد بوزيد الانجري الفقيه الجليل الذي اشتهر بنبوغه منذ صغره وبتفوقه في علوم كثيرة في جل مراحل حياته، رحل في طلب العلم حتى نال منه أربه ثم عاد إلى قريته فاشتغل بالتدريس حيث أمه جم وفير من أبناء قبيلته وبعض القبائل المجاورة وعقد مجالس للتفسير والحديث والفقه والأصول وتميزت درسه بالدقة والتفصيل حتى يصل كل مستمع وحاضر إلى مبتغاه.

7. العلامة سيدي محمد الانجري الفقيه البارز في العلوم الشرعية واللغوية وليد قرية أنجرة الشهيرة والمتعلم على أبنائها وخيرة فقهائها، ظهرت نجابته منذ صغر سنه فحفظ القرآن الكريم ومايتعلق به من ضبط وقراءة ثم حفظ المتون العلمية بشروحها ولازال ينهل من حياض العلم ويكرع حتى نال النصيب الأوفر مما أهله لاعتلاء كراسي التدريس فتحلق حوله طلبة كثيرون من أبناء قبيلته يدرسون عليه التفسير والحديث والفقه واللغة فيتخرجون فقهاء يعتلون المنابر للخطبة والكراسي للتدريس ولازال أطال الله في عمره يقوم بمهمته أحسن قيام فيقصده كل طالب علم بالمنطقة.

8. الفقيه الحاج محمد بن الهاشمي البقاش من قرية الرمان بأنجرة فقيه القراءات المتبحر في علومها والمتيمز في تدريسها وتعليمها، درس القرآن الكريم وقراءاته في قرى ومداشر كثيرة ثم عين أستاذا بمدرسة ولي العهد الأمير سيدي محمد للقراءات السبع فتخرج على يديه عدد كبير من قراء القرآن والقراءات في مختلف الأقاليم المغربية.

وسيطول بنا المقال لو أحصينا كل العلماء والفقهاء الذين حفلت بهم هذه المنطقة والذين جلسوا للتعليم والتربية والتثقيف، ونحن حين نستحضر هذه الأسماء البارزة التي تخفي وراءها كوكبة من العلماء والأدباء نستحضر دائما صورة العالم العربي المسلم الذي يقف للخطابة ويجلس للدرس والتعليم ويتجند للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لأمر دينه وتأدية لأمانة العلم التي في عنقه فيقصده الطلبة ويروم مجلسه كل متعطش لمعرفة أمر من أمور دينه أو دنياه. ونحن لن نتقصى هنا تاريخ هذه المنطقة ولن نستحضر كل الأسماء التي اشتهر ذكرها وانتشر لأننا لو حاولنا ذلك لطال بنا المقام ولكننا سنكتفي بهذه الإشارات للتخلص للحديث عن فلسفة التعليم ومنهجه عند هؤلاء وفي هذه المناطق منذ القديم وإلى اليوم.

فلقد كانت الفلسفة التعليمية في هذه المراكز التعليمية المنتشرة في المساجد وغيرها من المدارس والزوايا تعتمد على:

1. حرية التمدرس: فلا فرق بين المتعلم في المدارس العلمية العتيقة بين أن يكون طفلا أو شابا، فللمتعلم أن يختار الوقت الذي يناسبه للتعلم والسن التي تسمح له ظروفه بالأخذ فيه، كما أن توقفه عن الدراسة أو استمراره فيها متوقفان على ظروفه الخاصة وحالته المادية والمعنوية، إلا أن الفقهاء المدرسين كانوا يفضلون التبكير بالعملية التعليمية انطلاقا من الحكمة المشهورة: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

2. ربط المدرسة بالمسجد لما في ذلك من ربط بين التعليم والدين، وارتباط بالصلاة في وقتها، وإيمان بالدور الذي يقوم به المسجد في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية، كما تجعل الطالب زيادة على ذلك يرتبط بقراءة الحزب مع الجماعة مرتين في اليوم ليحافظ على الحفظ وليتدرب على القراءة الصحيحة للقرآن.

3. إشراف القبيلة على تعيين الفقيه المدرس واختياره من بين أفقه القوم وأعلمهم، وممن يتميزون بعد العلم بحسن السيرة والسلوك حتى يكون قدوة للأولاد وفي محل ثقة الآباء. فالفقيه المعلم الذي يتفرغ لتربية وتعليم الأطفال يجب أن يكون حافظا للقرآن رسما وضبطا وتجويدا، ويختار من بين مجموعة من الحفاظ الذين اشتهروا بالرحلة في طلب هذه المهارات العلمية ويتعدد الشيوخ الذين أخذ عنهم، ويختار أيضا لسمته ووقاره والتزامه بتعاليم الدين وحفاظه على أداء الصلاة في الجماعة، وتميزه بالأخلاق الفاضلة والذكر الطيب حتى يكون قدوة لأولئك الصغار الذين سيتعلمون على يديه ويسيرون على نهجه وسيرته، أما الفقيه العالم الذي يجمع بين تحفيظ القرآن وتدريس العلوم أو الأوراق كما اصطلح على ذلك فعادة ما يكون كبير السن مقدما في قومه يلجؤون إليه للفتوى والاستشارة، فهو بالإضافة إلى حفظه للقرآن وتفننه في علومه يتقن علوما أخرى كالحديث والفقه والأصول واللغة والبيان رحل في طلب العلم ونال منه الحظ الوافر، والجلسات العلمية التي يعقدها هذا الفقيه العالم قد لاتقتصر على الطلبة بل يحضرها كل من رام الفائدة وطلب المعرفة لأمور دينه ودنياه، وقد يخصص هذا الفقيه دروسا وعظية لعموم الناس يشرح فيها مايتعلق بعموم العبادات والمعاملات.

4. تحتوي المدرسة القرآنية على عدة مستويات في حجرة واحدة وهذا أسلوب في التدريس والتعليم عجزت عنه المدرسة الحديثة، فالطلبة في المدرسة القرآنية يتفاوتون في الحجرة الواحدة في الأعمار والمستويات، ومع ذلك يدرسون ويتابعون تحت إشراف فقيه واحد، فنجد مجموعة في مرحلة النهجي وأخرى في مرحلة الإملاء والتعلم، وأخرى تجاوزت هذه المراحل وانتقلت إلى حفظ المتون العلمية بعد تجاوزها كل المراحل السابقة، والكل في نظام محكم بديع والفقيه على بصيرة من كل واحد يسمع لهم قراءة الألواح يوميا وقراءة الأسوار بالتناوب.

5. للفقيه الحق والحرية التامة في أن ينتقل بالتلميذ من مرحلة إلى أخرى حسب تقديره وما يلمس فيه من فطنة وذكاء، وقدرة على الاستيعاب والحفظ والتتبع، فلا ينتظر انتهاء سنة ولافصل بل يتصرف وفق ما يلاحظه ويبدو له.

على هذه الأسس ووفق هذا المنهج كان التعليم ولايزال قائما في هذه القرى والمداشر، وبهذه الطريقة درس علماء كبار لازال الناس يلهجون بذكرهم ويستفيدون من علمهم منهم من قضى نحبه ومنهم من لايزال قائما يعلم الصغار ويرشد الكبار فرحم الله من اختاره إلى جواره وأطال في عمر من لازال قائما يجاهد بعلمه ويقاوم كل وسائل التضليل والانحراف التي أضحت تغزو البادية المغربية فتنسيها أصولها وتاريخها وأمجادها، وتحاول أن تطمس هوية أبنائها العربية الإسلامية. فلن تخلد أمجاد هذه المناطق إلا بأصالتها ولن تبني مستقبلها إلا بالحفاظ على ماضيها وتراثها والانطلاق من تجربة الآباء من أجل تنوير طريق الأبناء.